النور في القرآن الكريم

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

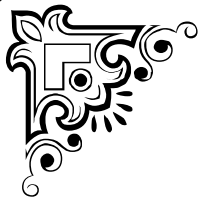

مِنَّةُ الْقُرْآنِ وَشَرَفُ حَمَلَتِهِ

فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَكْبَرُ مِنَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ بَلْ عَلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ وَعَلَىٰ قَوْمِهِ، وَذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ أَنَّ الْقُرْآنَ رِفْعَةٌ وَسُؤْدَدٌ وَفَخْرٌ وَفَخَارٌ لِنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِهَذِهِ الْأُمَّةِ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]: وَإِنَّهُ لَفَخَارٌ وَشَرَفٌ وَسُؤْدَدٌ وَعِزَّةٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ هِدَايَةً وَنُورًا.

الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ بَيَّنَ لَنَا نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ اللهِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**».

قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»(١).

فَأَهْلُ الْقُرْآنِ الَّذِينَ يُحِلُّونَ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَيُقِيمُونَ حُرُوفَهُ، وَيَتَدَبَّرُونَ فِي مَعَانِيهِ، وَيَتَأَمَّلُونَ فِي مَبَانِيهِ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (١/ ٧٨، رقم ٢١٥)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.
والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ١٦٨، رقم ١٤٣٢).

وَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ يَرْفَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَيُقَدِّمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، وَيَرْفَعُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الدَّرَجَاتِ وَالْمَنَازِلَ فِي الْجَنَّةِ.

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**»(١).

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ مُقَدِّمًا لِصَاحِبِهِ فِي أَشْرَفِ الْمَوَاطِنِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْعِبَادَةِ؛ إِذْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْرَأَ الْقَوْمِ وَأَحْسَنَهُمْ قِرَاءَةً، وَأَفْقَهَهُمْ فِقْهًا، وَأَعْظَمَهُمْ عِلْمًا؛ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِمَامَهُمْ فِي أَشْرَفِ عِبَادَةٍ يَتَقَرَّبُ بِهَا الْخَلْقُ إِلَىٰ خَالِقِهِمْ، وَيَتَعَبَّدُ بِهَا النَّاسُ لِمَعْبُودِهِمُ الْأَعْلَىٰ، «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**».

وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَفَعَلَ، وَأَتَتْ مِنْهُ ﷺ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ تُقَدِّمُ بِالْقُرْآنِ فِي الْقُبُورِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يَدْفِنَ شُهَدَاءَ أُحُدٍ.. وَكَانُوا كَثْرَةً رضي الله عنهم؛ كَانُوا سَبْعِينَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الصَّالِحِينَ، وَمِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، وَكَانَ فِي الْحَالِ قِلَّةٌ، وَكَانَ فِي الشَّأْنِ فَقْرٌ وَعَالَةٌ وَعَيْلَةٌ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْفِنَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ؛ سَأَلَ عَنْ أَكْثَرِهِمْ حَمْلًا لِكِتَابِ اللهِ سبحانه وتعالى، فَقَدَّمَهُ فِي الْقَبْرِ(٢)، فَقَدَّمَ الْقُرْآنُ صَاحِبَهُ فِي الْقَبْرِ بَعْدَ إِذْ كَانَ مُقَدِّمًا لَهُ فِي الْحَيَاةِ.

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٣)، من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

(٢) أخرج البخاري: (٣/ ٢١٢، رقم ١٣٤٧ و١٣٤٨)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما:
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَىٰ أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ**»،... الحديث.

وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَجْعَلُ الْقُرْآنَ إِمَامًا لِحَامِلِيهِ، وَالْآخِذِينَ بِمَا فِيهِ، وَالَّذِينَ يُحِلُّونَ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَيَفْقَهُونَ مَعَانِيَهُ، جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْقُرْآنَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ إِمَامًا، كَمَا جَعَلَهُ فِي الْقَبْرِ مُدَافِعًا عَنْ صَاحِبِهِ(١)؛ إِذْ كَانَ يُوقِظُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَيُقِضُّ مَضْجَعَهُ بِاللَّيْلِ، فَلَا يَجْعَلُ لَهُ إِلَىٰ الْمَنَامِ سَبِيلًا، وَلَا إِلَىٰ الْغُمْضِ بِاللَّيْلِ طَرِيقًا، بَلْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي الْحَيَاةِ يُقِيمُ صَاحِبَهُ، وَيَؤُزُّ حَامِلَهُ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَقُومَ بِهِ تَالِيًا أَمَامَ رَبِّهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، صَافًّا قَدَمَيْهِ فِي أَجْوَافِ اللَّيَالِي، مُتَبَتِّلًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُرَتِّلًا مُنِيبًا(٢).

---

(١) أخرج ابن حبان في «الصحيح»: (١/ ٣٣١ - ٣٣٢، رقم ١٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠، رقم ١٨٥٥)، من حديث: جَابِرٍ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ إِمَامًا قَادَهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَىٰ النَّارِ**».

والحديث جود إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٥/ ٣١، رقم ٢٠١٩)، وصححه في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ١٦٤، رقم ١٤٢٣).

وقوله: «مَاحِلٌ مُصَدَّقٌ»، أي: يَمْحَل بصاحبه إذا ضَيَّعَه ولم يتبع ما فيه.

(٢) أخرج أحمد في «المسند»: (٢/ ١٧٤، رقم ٦٦٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٣/ ٣٨، رقم ٨٨)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٥٤، رقم ٢٠٣٦)، من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ، إِنِّي مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَيُشَفَّعَانِ**».

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ٥٧٩، رقم ٩٨٤) و (٢/ ١٦٦، رقم ١٤٢٩).

فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْقُرْآنَ مُدَافِعًا عَنْ صَاحِبِهِ فِي الْقَبْرِ، وَإِمَامًا لَهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَنُورًا يَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- يَرْفَعُ صَاحِبَ الْقُرْآنِ وَحَامِلَهُ، وَمَنْ كَانَ بِهِ عَالِمًا، وَلَهُ تَالِيًا، وَلِآيَاتِهِ ذَاكِرًا.. يَرْفَعُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْقُرْآنِ صَاحِبَهُ مَنَازِلَ فِي الْجَنَّاتِ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ، فَقَالَ: إِنَّهُ «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ**[1]: **اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»[2].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٨٤): «واعلم أن المراد بقوله «صاحب القرآن»: حافظه عن ظهر قلب، علىٰ حد قوله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله...**»، أي: أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو علىٰ حسب الحفظ في الدنيا، وليس علىٰ حسب قراءته يومئذ واستكثاره منها كما توهم بعضهم، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»».

(٢) أخرجه أبو داود: (٢/ ٧٣، رقم ١٤٦٤)، والترمذي: (٥/ ١٧٧ - ١٧٨، رقم ٢٩١٤)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**».

وفي رواية الترمذي: «مَنْزِلَتَكَ» بدلا من «منزلك».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا قال الألباني في «الصحيحة»: (٥/ ٢٨١، رقم ٢٢٤٠)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ١٦٥، رقم ١٤٢٦).

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ شَرَفِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بَيَّنَ لَنَا فِي وَاقِعَةٍ أَخْرَجَهَا الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(١) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، تَهَبُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ! جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي».

قَالَ سَهْلٌ: «فَصَعَّدَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ الْبَصَرَ، وَصَوَّبَهُ» يَعْنِي: كَمَا يَفْعَلُ الْخَاطِبُ إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يَخْطِبَ فَتَاةً، وَأَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً؛ فَإِنَّهُ مِمَّا أَحَلَّهُ لَهُ الشَّرْعُ: أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا(٢)، وَأَنْ يَبْحَثَ عَمَّا عَسَىٰ أَنْ يُؤْدِمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ بَيْنَهُمَا، وَأَنْ يُدِيمَ الْعِشْرَةَ بِهِ بَيْنَهُمَا(٣)؛ بَلْ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ دَلَّ بَعْضَ أَصْحَابِهِ

---

(١) أخرجه البخاري: (٩/ ٧٤ و٧٨، رقم ٥٠٢٩ و٥٠٣٠)، ومسلم: (٢/ ١٠٤٠، رقم ١٤٢٥).

(٢) قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: (٩/ ٢١٠): «إِنَّمَا يُبَاحُ لَهُ النظر إلىٰ وجهها وكفيها فقط؛ لأنهما ليسا بعورة، ولأنه يُسْتَدَلُّ بِالْوَجْهِ عَلَىٰ الْجَمَالِ أَوْ ضِدِّهِ وَبِالْكَفَّيْنِ عَلَىٰ خُصُوبَةِ الْبَدَنِ أَوْ عَدَمِهَا، هَذَا مَذْهَبُنَا -أي: مذهب الشافعية- وَمَذْهَبُ الْأَكْثَرِينَ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: يَنْظُرُ إِلَىٰ مَوَاضِعِ اللَّحْمِ، وَقَالَ دَاوُدُ: يَنْظُرُ إِلَىٰ جَمِيعِ بَدَنِهَا، وَهَذَا خَطَأٌ ظَاهِرٌ مُنَابِذٌ لِأُصُولِ السُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ». اهـ.

(٣) أخرج الترمذي: (٣/ ٣٨٨، رقم ١٠٨٧)، والنسائي: (٦/ ٩٦، رقم ٣٢٣٥)، وابن ماجه: (١/ ٥٩٩ - ٦٠٠، رقم ١٨٦٥ و ١٨٦٦)، من حديث: الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: خَطَبْتُ امْرَأَةً عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟**» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَىٰ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا**»، وفي لفظ: «...، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا».

وزاد في رواية لأحمد: (٤/ ٢٤٤ - ٢٤٥)، والبيهقي: (٧/ ٨٤ - ٨٥)، بإسناد صحيح،

عَلَىٰ أَمْرٍ، فَقَالَ: «**انْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا**»(١)، فَدَلَّهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أَمْرٍ يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَهُ، فَإِذَا مَا كَانَ مِنْهُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَمَلْمَلَ مِنْهُ، وَلَا أَنْ يَشْكُوَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَقَرَّ ذَلِكَ وَأَخَذَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

جَاءَتِ الْمَرْأَةُ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ تَهَبُ نَفْسَهَا لَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَصَعَّدَ فِيهَا النَّظَرَ، وَصَوَّبَهُ، وَسَكَتَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ أَعْظَمُ الْخَلْقِ حَيَاءً، وَكَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا(٢)، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ

=

قال:

فَأَتَيْتُهَا وَعِنْدَهَا أَبَوَاهَا، وَهِيَ فِي خِدْرِهَا فَقُلْتُ إِنَّ رَسُولَ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، فَسَكَتَا، فَرَفَعَتِ الْجَارِيَةُ جَانِبَ الْخِدْرِ، فَقَالَتْ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمَرَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ لَمَا نَظَرْتَ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَأْمُرْكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ فَلَا تَنْظُرْ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا ثُمَّ تَزَوَّجْتُهَا، فَمَا وَقَعَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ بِمَنْزِلَتِهَا،... الحديث.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: (١/ ١٩٨، رقم ٩٦).

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ١٠٤٠، رقم ١٤٢٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا**».

(٢) أخرج البخاري: (١٠/ ٥١٣، رقم ٦١٠٢)، ومسلم: (٤/ ١٨٠٩ - ١٨١٠، رقم ٢٣٢٠)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَىٰ شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ».

يُوَاجِهَهَا بِالرَّفْضِ؛ حَتَّىٰ لَا يَكْسِرَ خَاطِرَهَا، وَإِنَّمَا سَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ؛ عَسَىٰ أَنْ تَفْهَمَ مِنْ سُكُوتِهِ أَمْرًا، فَتَمْضِيَ لِشَأْنِهَا، وَتَنْطَلِقَ لِطِيَّتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُعَوِّلَ عَلَىٰ إِجَابَةٍ مِنْهُ فِيهَا رَفْضٌ يَكْسِرُ الْخَاطِرَ، وَيُزْعِجُ الْبَالَ، فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهَا بِشَيْءٍ؛ قَعَدَتْ، فَلَمَّا طَالَ الْمَجْلِسُ؛ قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ فِيهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِهَذَا الرَّجُلِ: «**اذْهَبْ فَالْتَمِسْ شَيْئًا لِيَكُونَ مَهْرًا لَهَا**».

فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَعَادَ، فَقَالَ: «لَمْ أَجِدْ شَيْئًا يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**».

فَذَهَبَ الرَّجُلُ، ثُمَّ عَادَ، فَقَالَ: «وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي -وَالْإِزَارُ: هُوَ مَا يُوَارِي السَّوْأَةَ، كَمَا يَكُونُ فِي حَالِ الْمُعْتَمِرِ وَالْحَاجِّ، فَأَمَّا مَا يَكُونُ فِي أَعْلَىٰ الْجَسَدِ أَوْ بِنِصْفِهِ الْأَعْلَىٰ؛ فَهُوَ الرِّدَاءُ، وَأَمَّا مَا يَكُونُ فِي أَسْفَلِ الْجَسَدِ؛ فَهُوَ الْإِزَارُ-، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا إِزَارِي أَقْسِمُهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا نِصْفَيْنِ!!».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا تَفْعَلُ بِإِزَارِكَ؟! إِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ؛ وَلَكِنْ مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟**».

فَقَالَ: «مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا».

قَالَ: «**تَحْفَظُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ؟**».

فَقَالَ: «نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ».

فَزَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ.

الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَعْظَمُ مِنَّةٍ مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّ فِيهِ أُصُولَ الْإِيمَانِ، وَلِأَنَّ بِهِ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ، وَلِأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ هُوَ الْمَنْهَجُ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الْقُرْآنُ مُعْجِزَةٌ وَمَنْهَجٌ».

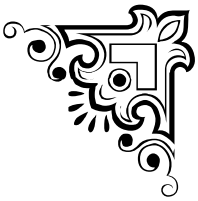

الْقُرْآنُ نُورٌ وَهِدَايَةٌ وَفُرْقَانٌ وَرَحْمَةٌ

«لَقَدْ وَصَفَ اللهُ كِتَابَهُ بِأَوْصَافٍ جَلِيلَةٍ عَظِيمَةٍ تَنْطَبِقُ عَلَىٰ جَمِيعِهِ، وَتَدُلُّ أَكْبَرَ دَلَالَةٍ عَلَىٰ أَنَّهُ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسُ لِجَمِيعِ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْفُنُونِ الْمُرْشِدَةِ لِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَصَفَهُ بِالْهُدَىٰ وَالرُّشْدِ، وَالْفُرْقَانِ، وَأَنَّهُ مُبِينٌ وَتِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ هُدًىٰ، وَيَهْدِي الْخَلْقَ لِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ كُلِّ طَرِيقٍ نَافِعٍ، وَيُفَرِّقُ لَهُمْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَبَيْنَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ بِذِكْرِ أَوْصَافِ الْفَرِيقَيْنِ.

وَفِي الْقُرْآنِ بَيَانُ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ بِذِكْرِ أَدِلَّتِهَا النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، فَوَصَفَهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمُطْلَقَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لَا يَشِذُّ عَنْهَا شَيْءٌ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

وَقَيَّدَ هِدَايَتَهُ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ بِعِدَّةِ قُيُودٍ: قَيَّدَ هِدَايَتَهُ بِأَنَّهُ هُدًىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ؛ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَيَتَفَكَّرُونَ، وَلِمَنْ قَصْدُهُ الْحَقُّ، وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ -تَعَالَىٰ- لِشَرْطِ هِدَايَتِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْمَحَلَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَابِلًا وَعَامِلًا، فَلَا بُدَّ لِهِدَايَتِهِ مِنْ عَقْلٍ وَتَفْكِيرٍ وَتَدَبُّرٍ لِآيَاتِهِ؛ فَالْمُعْرِضُ الَّذِي لَا يَتَفَكَّرُ وَلَا يَتَدَبَّرُ آيَاتِهِ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ، وَمَنْ لَيْسَ قَصْدُهُ الْحَقَّ، وَلَا غَرَضَ لَهُ فِي الرَّشَادِ، بَلْ قَصْدُهُ فَاسِدٌ، وَقَدْ وَطَّنَ

نَفْسَهُ عَلَىٰ مُقَاوَمَتِهِ وَمُعَارَضَتِهِ لَيْسَ لَهُ مِنْ هِدَايَتِهِ نَصِيبٌ؛ فَالْأَوَّلُ حُرِمَ هِدَايَتَهُ لِفَقْدِ الشَّرْطِ، وَالثَّانِي لِوُجُودِ الْمَانِعِ، فَأَمَّا مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَتَفَكَّرَ فِي مَعَانِيهِ، وَتَدَبَّرَهَا بِحُسْنِ فَهْمٍ، وَحُسْنِ قَصْدٍ، وَسَلِمَ مِنَ الْهَوَىٰ؛ فَإِنَّهُ يَهْتَدِي بِهِ إِلَىٰ كُلِّ مَطْلُوبٍ، وَيَنَالُ بِهِ كُلَّ غَايَةٍ جَلِيلَةٍ وَمَرْغُوبٍ.

وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ رَحْمَةٌ، وَهِيَ الْخَيْرُ الدِّينِيُّ وَالدُّنْيَوِيُّ وَالْأُخْرَوِيُّ الْمُتَرَتِّبُ عَلَىٰ الِاهْتِدَاءِ بِالْقُرْآنِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ اهْتِدَاءً بِهِ؛ فَلَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ نُورٌ؛ وَذَلِكَ لِبَيَانِهِ وَتَوْضِيحِهِ الْعُلُومَ النَّافِعَةَ، وَالْمَعَانِيَ الْكَامِلَةَ، وَأَنَّ بِهِ يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنْ جَمِيعِ الظُّلُمَاتِ -ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، وَالْكُفْرِ، وَالْمَعَاصِي، وَالشَّقَاءِ- إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ، وَالْيَقِينِ، وَالْإِيمَانِ، وَالطَّاعَةِ، وَالرَّشَادِ الْمُتَنَوِّعِ.

وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَذَلِكَ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ؛ فَالْقُرْآنُ يُوَضِّحُ أَمْرَاضَ الْقُلُوبِ، وَيُشَخِّصُهَا، وَيُرْشِدُ الْعِبَادَ إِلَىٰ كُلِّ وَسِيلَةٍ يَحْصُلُ بِهَا زَوَالُهَا وَشِفَاؤُهَا، فَيَذْكُرُ لَهُمْ أَمْرَاضَ الْجَهْلِ، وَالشُّكُوكِ، وَالْحَيْرَةِ، وَأَسْبَابَ ذَلِكَ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ قَلْعِهَا بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْيَقِينِ الصَّادِقِ، وَسُلُوكِ الطُّرُقِ الصَّحِيحَةِ الْمُزِيلَةِ لِهَذِهِ الْعِلَلِ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ أَمْرَاضَ الشَّهَوَاتِ وَالْغَيِّ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَسْبَابَهَا، وَعَلَامَاتِهَا، وَآثَارَهَا الضَّارَّةَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَا بِهِ تُعَالَجُ؛ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالتَّذَكُّرِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَالْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْأُمُورِ، وَتَرْجِيحِ مَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَتُهُ الْعَاجِلَةُ وَالْآجِلَةُ.

وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كُلَّهُ مُحْكَمٌ، وَكُلَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الْحُسْنِ، وَبَعْضُهُ مُتَشَابِهٌ مِنْ وَجْهٍ، مُحْكَمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ.

فَأَمَّا وَصْفُهُ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ أَنَّهُ كُلَّهُ مُحْكَمٌ؛ فَلِبَلَاغَتِهِ وَبَيَانِهِ التَّامِّ، وَاشْتِمَالِهِ عَلَىٰ غَايَةِ الْحِكْمَةِ فِي تَنْزِيلِ الْأُمُورِ مَنَازِلَهَا، وَوَضْعِهَا مَوَاضِعَهَا، وَأَنَّهُ مُتَّفِقٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ، لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَاقُضٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ.

وَأَمَّا حُسْنُهُ؛ فَلِمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ التَّامِّ لِجَمِيعِ الْحَقَائِقِ، وَلِأَنَّهُ بَيَّنَ أَحْسَنَ الْمَعَانِي النَّافِعَةِ فِي الْعَقَائِدِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْآدَابِ، وَالْأَعْمَالِ، فَهِيَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ لَفْظًا وَمَعْنًىٰ، وَآثَارُهَا أَحْسَنُ الْآثَارِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي الْمُثَنَّاةِ فِي الْقُرْآنِ يَشْهَدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي الْحُسْنِ وَالْكَمَالِ، وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَأَمَّا وَصْفُهُ بِأَنَّ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ؛ فَالْمُتَشَابِهَاتُ هِيَ الَّتِي يَقَعُ الْإِشْكَالُ فِي دَلَالَتِهَا؛ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْمُرَكَّبَةِ، فَأَمَرَ اللهُ بِرَدِّهَا إِلَىٰ الْمُحْكَمَاتِ الْوَاضِحَةِ، بَيِّنَةِ الْمَعَانِي، الَّتِي هِيَ نَصٌّ فِي الْمُرَادِ، فَإِذَا رُدَّتِ الْمُتَشَابِهَاتُ إِلَىٰ الْمُحْكَمَاتِ؛ صَارَتْ كُلُّهَا مُحْكَمَاتٍ، وَزَالَ الشَّكُّ وَالْإِشْكَالُ، وَحَصَلَ الْبَيَانُ لِلْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالِ.

وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كُلَّهُ صَلَاحٌ، وَيَهْدِي إِلَىٰ الْإِصْلَاحِ، وَإِلَىٰ أَقْوَمِ الْأُمُورِ وَأَرْشَدِهَا، وَأَنْفَعِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ دُونِ اسْتِثْنَاءٍ، وَهَذَا الْوَصْفُ الْمُحِيطُ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْءٌ، فَهُوَ إِصْلَاحٌ لِلْعَقَائِدِ وَالْقُلُوبِ، وَلِلْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَيَهْدِي إِلَىٰ كُلِّ صَلَاحٍ دِينِيٍّ وَدُنْيَوِيٍّ؛ بِحَيْثُ تَقُومُ بِهِ الْأُمُورُ، وَتَعْتَدِلُ بِهِ الْأَحْوَالُ،

وَيَحْصُلُ بِهِ الْكَمَالُ الْمُتَنَوِّعُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بِالْإِرْشَادِ إِلَىٰ كُلِّ وَسِيلَةٍ نَافِعَةٍ تُؤَدِّي إِلَىٰ الْمَقَاصِدِ وَالْغَايَاتِ الْمَطْلُوبَةِ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْهِدَايَةِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ إِلَّا بِسُلُوكِ الطُّرُقِ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ، وَحَثَّ الْعِبَادَ عَلَيْهَا.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابُ تَعْلِيمٍ يُزِيلُ الْجَهَالَاتِ الْمُتَنَوِّعَةَ، وَكِتَابُ تَرْبِيَةٍ يُقَوِّمُ الْأَخْلَاقَ وَالْأَعْمَالَ، فَهُوَ يُعَلِّمُ، وَيُقَوِّمُ، وَيُهَذِّبُ، وَيُؤَدِّبُ بِأَعْلَىٰ مَا يَكُونُ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِلْحُكَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ أَنْ يَقْتَرِحُوا مِثْلَهَا، وَلَا مَا يُقَارِبُهَا»[1].(*).

(١) «**تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ**»: (ص٤ - ٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، الْأَحَدُ ١٦ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٢-٩-٢٠١٣م.

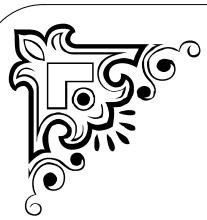

النُّورُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

عِبَادَ اللهِ! الوَحْيُ هُوَ رُوحُ العَالَمِ، وَنُورُهُ، وَحَيَاتُهُ، وَإِذَا خَلَا العَالَمُ مِنَ الرُّوحِ، وَالنُّورِ، وَالحَيَاةِ؛ أَقَامَ اللهُ -تَعَالَىٰ- السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ يُرْفَعُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ، وَمِنَ السُّطُورِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَذَلِكَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ.

وَحِينَئِذٍ -عِنْدَمَا يَخْلُو الْعَالَمُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَالنُّورِ، وَمَادَّةِ هَذَا الوُجُودِ الحَقِّ-؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقِيمُ السَّاعَةَ.

إِذَنْ؛ الْوَحْيُ هُوَ نُورُ العَالَمِ، وَحَيَاتُهُ، وَهِدَايَتُهُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِ الْإِنْسَانِ بِهَذَا النُّورِ وَالحَيَاةِ وَالهُدَىٰ يَكُونُ تَحْقِيقُهُ لِلْقَصْدِ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَنَا لِغَايَةٍ، وَهَذِهِ الغَايَةُ مُبَيَّنَةٌ فِي الوَحْيِ المَعْصُومِ، وَإِذَا مَا عَاشَ النَّاسُ بِهَذَا الوَحْيِ؛ سَعِدُوا فِي الحَيَاةِ، وَتَجَنَّبُوا سُبُلَ الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَلَا حَيَاةَ لِهَذَا العَالَمِ إِلَّا بِأَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْوَحْيِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «عِيشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ!» ٢٣ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ| ٢٢-١٢-٢٠١٦.

إِنَّ الْقُرْآنَ نُورٌ اسْتَضَاءَ بِهِ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَحَمَلَ هَذَا النُّورَ الرَّبَّانِيَّ وَنَقَلَهُ؛ لِيُضِيءَ بِهِ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَلَا زَالَ الْمُوَفَّقُونَ مِنْ أُمَّتِهِ يَحْمِلُونَ هَذَا النُّورَ إِلَى غَيْرِهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

يَمْتَنُّ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ سَائِرِ النَّاسِ بِمَا أَوْصَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ، وَيُقِيمُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، وَيُوَضِّحُ لَهُمُ الْمَحَجَّةَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَيْ: حُجَجٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ الْحَقِّ تُبَيِّنُهُ وَتُوَضِّحُهُ، وَتُبَيِّنُ ضِدَّهُ.

وَهَذَا يَشْمَلُ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ وَالنَّقْلِيَّةَ، الْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةَ وَالنَّفْسِيَّةَ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ شَرَفِ هَذَا الْبُرْهَانِ وَعَظَمَتِهِ؛ حَيْثُ كَانَ مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي رَبَّاكُمُ التَّرْبِيَةَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ، فَمِنْ تَرْبِيَتِهِ لَكُمُ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا وَيُشْكَرُ: أَنْ أَوْصَلَ إِلَيْكُمُ الْبَيِّنَاتِ؛ لِيَهْدِيَكُمْ بِهَا إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْوُصُولِ إِلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾: وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَدِ اشْتَمَلَ عَلَىٰ عُلُومِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ النَّافِعَةِ، وَالْأَمْرِ بِكُلِّ عَدْلٍ، وَإِحْسَانٍ، وَخَيْرٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ ظُلْمٍ وَشَرٍّ، فَالنَّاسُ فِي ظُلْمَةٍ إِنْ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَنْوَارِهِ، وَفِي شَقَاءٍ عَظِيمٍ إِنْ لَمْ يَقْتَبِسُوا مِنْ خَيْرِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» [النساء: ١٧٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾: وَهُوَ الْقُرْآنُ، يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهَالَةِ وَعَمَايَةِ الضَّلَالَةِ ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ مِنَ الْعِلْمِ بِاللهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَمِنَ الْعِلْمِ بِأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَحْكَامِهِ الْجَزَائِيَّةِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى ٥٢-٥٣].

وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ سَائِرِ رُسُلِنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.. أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا مِنْ أَمْرِنَا، مُشْتَمِلًا عَلَىٰ زُبْدَةِ الْعُلُومِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ، وَكُلِّيَّاتِ الدِّينِ الْكُبْرَىٰ، وَهُوَ كَالرُّوحِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَجْسَادِ؛ إِذْ هُوَ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ، وَالنُّفُوسِ، وَالْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ، يُحْيِي بِهِ مَنْ تَلَقَّاهُ وَآمَنَ بِهِ، وَيَحْيَا بِهِ مَنْ تَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ وَتَأَثَّرَ بِهَا.

مَا كُنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ تَدْرِي قَبْلَ الْوَحْيِ إِلَيْكَ مَا الْقُرْآنُ، وَلَا شَرَائِعُ الْإِيمَانِ، وَلَا مَعَالِمُهُ، وَلَا تَفَاصِيلُهُ، وَلَكِنْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَعَلَّمْنَاكَ الْإِيمَانَ وَأَرْكَانَهُ، وَجَعَلْنَا الْقُرْآنَ نُورًا هَادِيًا لِلْقُلُوبِ، وَالنُّفُوسِ، وَالْعُقُولِ، نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا إِلَىٰ سُلُوكِ صِرَاطِنَا الْمُسْتَقِيمِ، وَنَمْحُو بِهِ ظُلُمَاتِ الضَّلَالَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، وَالنَّفْسِيَّةِ، وَالسُّلُوكِيَّةِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» [المائدة: ١٥].

وَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ لَتَهْدِي هِدَايَةَ دَعْوَةٍ وَتَبْلِيغٍ إِلَىٰ طَرِيقِ رَبِّكَ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا عِوَجَ لَهُ، وَهَذَا الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ لَيْسَ مِنْ وَضْعِكَ، بَلْ هُوَ اصْطِفَاءُ حَكِيمٌ مِنَ اللهِ الَّذِي لَهُ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، انْتَبِهُوا وَتَأَكَّدُوا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَصِيرُ كُلُّ أُمُورِ الْخَلَائِقِ، وَيُجَازِي الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الِابْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ وَالْحِسَابِ.

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَهَمِّيَّةُ الْوَحْيِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ وَفِي هِدَايَتِهِمْ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ.(*).

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ يَجِدُ أَنَّهُ تَحَدَّثَ عَنِ النُّورِ حَدِيثًا عَظِيمًا بِمَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ فَتَحَدَّثَ عَنْ أَعْظَمِ وَأَعْلَى وَأَشْرَفِ نُورٍ، وَهُوَ نُورُ الْحَقِّ ﷻ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **فِي سُورَةِ (النُّورِ)**: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْحِسِّيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ -تَعَالَىٰ- بِذَاتِهِ نُورٌ، وَحِجَابُهُ -الَّذِي لَوْ لَا لُطْفُهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ- نُورٌ، وَبِهِ اسْتَنَارَ الْعَرْشُ، وَالْكُرْسِيُّ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَالنُّورُ، وَبِهِ اسْتَنَارَتِ الْجَنَّةُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الشورىٰ ٥٢-٥٣].

وَكَذَلِكَ النُّورُ الْمَعْنَوِيُّ يَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ؛ فَكِتَابُهُ نُورٌ، وَشَرْعُهُ نُورٌ، وَالْإِيمَانُ وَالْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِ رُسُلِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ نُورٌ؛ فَلَوْ لَا نُورُهُ -تَعَالَىٰ- لَتَرَاكَمَتِ الظُّلُمَاتُ؛ وَلِهَذَا كُلُّ مَحَلٍّ يَفْقِدُ نُورَهُ فَثَمَّ الظُّلْمَةُ وَالْحَصَرُ.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ الَّذِي يَهْدِي إِلَيْهِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ أَيْ: كُوَّةٍ ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾؛ لِأَنَّ الْكُوَّةَ تَجْمَعُ نُورَ الْمِصْبَاحِ بِحَيْثُ لَا يَتَفَرَّقُ، ذَلِكَ ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾ مِنْ صَفَائِهَا وَبَهَائِهَا ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ أَيْ: مُضِيءٌ إِضَاءَةَ الدُّرِّ، ﴿يُوقَدُ﴾ ذَلِكَ الْمِصْبَاحُ الَّذِي فِي تِلْكَ الزُّجَاجَةِ الدُّرِّيَّةِ ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أَيْ: يُوقَدُ مِنْ زَيْتِ الزَّيْتُونِ الَّذِي نَارُهُ مِنْ أَنْوَرِ مَا يَكُونُ، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ فَقَطْ، فَلَا تُصِيبُهَا الشَّمْسُ آخِرَ النَّهَارِ، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فَقَطْ، فَلَا تُصِيبُهَا الشَّمْسُ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَإِذَا انْتَفَىٰ عَنْهَا الْأَمْرَانِ؛ كَانَتْ مُتَوَسِّطَةً مِنَ الْأَرْضِ كَزَيْتُونِ الشَّامِ، تُصِيبُهَا الشَّمْسُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ، فَتَحْسُنُ وَتَطِيبُ، وَيَكُونُ أَصْفَىٰ لِزَيْتِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ مِنْ صَفَائِهِ ﴿يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، فَإِذَا مَسَّتْهُ النَّارُ؛ أَضَاءَ إِضَاءَةً بَلِيغَةً ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أَيْ: نُورُ النَّارِ، وَنُورُ الزَّيْتِ.

وَوَجْهُ هَذَا الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ، وَتَطْبِيقُهُ عَلَىٰ حَالَةِ الْمُؤْمِنِ، وَنُورِ اللهِ فِي قَلْبِهِ: أَنَّ فِطْرَتَهُ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا بِمَنْزِلَةِ الزَّيْتِ الصَّافِي، فَفِطْرَتُهُ صَافِيَةٌ مُسْتَعِدَّةٌ لِلتَّعَالِيمِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْعَمَلِ الْمَشْرُوعِ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ؛ اشْتَعَلَ ذَلِكَ النُّورُ فِي قَلْبِهِ بِمَنْزِلَةِ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي فَتِيلَةِ ذَلِكَ الْمِصْبَاحِ، وَهُوَ صَافِي الْقَلْبِ مِنْ سُوءِ الْقَصْدِ وَسُوءِ الْفَهْمِ عَنِ اللهِ، إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ أَضَاءَ إِضَاءَةً عَظِيمَةً؛

لِصَفَائِهِ مِنَ الْكُدُورَاتِ، وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ صَفَاءِ الزُّجَاجَةِ الدُّرِّيَّةِ، فَيَجْتَمِعُ لَهُ نُورُ الْفِطْرَةِ، وَنُورُ الْإِيمَانِ، وَنُورُ الْعِلْمِ، وَصَفَاءُ الْمَعْرِفَةِ، نُورٌ عَلَىٰ نُورِهِ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ نُورِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَصْلُحُ لَهُ ذَلِكَ؛ قَالَ: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ مِمَّنْ يَعْلَمُ زَكَاءَهُ وَطَهَارَتَهُ، وَأَنَّهُ يَزْكَىٰ مَعَهُ وَيَنْمُو، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾؛ لِيَعْقِلُوا عَنْهُ وَيَفْهَمُوا؛ لُطْفًا مِنْهُ بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَلِيَتَّضِحَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُقَرِّبُ الْمَعَانِيَ الْمَعْقُولَةَ مِنَ الْمَحْسُوسَةِ، فَيَعْلَمُهَا الْعِبَادُ عِلْمًا وَاضِحًا، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، فَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ؛ فَلْتَعْلَمُوا أَنَّ ضَرْبَهُ الْأَمْثَالَ ضَرْبُ مَنْ يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَتَفَاصِيلَهَا، وَأَنَّهَا مَصْلَحَةٌ لِلْعِبَادِ؛ فَلْيَكُنِ اشْتِغَالُكُمْ بِتَدَبُّرِهَا وَتَعَقُّلِهَا، لَا بِالِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا، وَلَا بِمُعَارَضَتِهَا؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.(*).

النُّورُ مِنْ أَوْصَافِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ نَوْعَيْنِ: نُورٍ حِسِّيٍّ: وَهُوَ مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ النُّورِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَوْ كُشِفَ الْحِجَابُ عَنْ وَجْهِهِ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ وَنُورُ جَلَالِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَهَذَا النُّورُ لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ لِلْمَعْنَىٰ الْعَظِيمِ، وَأَنَّهُ لَا تُطِيقُ الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا الثُّبُوتَ لِنُورِ وَجْهِهِ لَوْ تَبَدَّىٰ لَهَا، وَلَوْ لَا أَنَّ أَهْلَ دَارِ الْقَرَارِ يُعْطِيهِمُ الرَّبُّ حَيَاةً كَامِلَةً، وَيُعِينُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لَمَا تَمَكَّنُوا مِنْ رُؤْيَةِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ».

وَجَمِيعُ الْأَنْوَارِ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلْوِيَّةِ كُلُّهَا مِنْ نُورِهِ؛ بَلْ نُورُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ -وَسَعَتُهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ- مِنْ نُورِهِ، فَنُورُ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْجَنَّاتِ مِنْ نُورِهِ؛ فَضْلًا عَنْ نُورِ الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالْكَوَاكِبِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: نُورُهُ الْمَعْنَوِيُّ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي نَوَّرَ قُلُوبَ أَنْبِيَائِهِ، وَأَصْفِيَائِهِ، وَأَوْلِيَائِهِ، وَمَلَائِكَتِهِ مِنْ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ وَأَنْوَارِ مَحَبَّتِهِ؛ فَإِنَّ لِمَعْرِفَتِهِ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَارًا بِحَسَبِ مَا عَرَفُوهُ مِنْ نُعُوتِ جَلَالِهِ، وَمَا اعْتَقَدُوهُ مِنْ صِفَاتِ جَمَالِهِ؛ فَكُلُّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي قُلُوبِهِمْ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْمَوْلَىٰ أَعْظَمُ الْمَعَارِفِ كُلِّهَا، وَالْعِلْمَ بِهِ أَجَلُّ الْعُلُومِ، وَالْعِلْمُ النَّافِعُ كُلُّهُ أَنْوَارٌ فِي الْقُلُوبِ؛ فَكَيْفَ بِهَذَا الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْعُلُومِ وَأَجَلُّهَا، وَأَصْلُهَا وَأَسَاسُهَا؟!!

فَكَيْفَ إِذَا انْضَمَّ إِلَىٰ هَذَا نُورُ مَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ؟!! فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ أَقْطَارُ الْقَلْبِ وَجِهَاتُهُ مِنَ الْأَنْوَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَفُنُونِ اللَّذَّاتِ الْمُتَشَابِهَةِ فِي الْحُسْنِ وَالنَّعِيمِ.

فَمَعَانِي الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْجَلَالِ وَالْمَجْدِ تَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ مِنْ أَنْوَارِ الْهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْإِجْلَالِ وَالتَّكْبِيرِ.

وَمَعَانِي الْجَمَالِ وَالْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ تَمْلَأُهَا مِنْ أَنْوَارِ الْمَحَبَّةِ وَالْوُدِّ وَالشَّوْقِ.

وَمَعَانِي الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالْجُودِ وَاللُّطْفِ تَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ مِنْ أَنْوَارِ الْحُبِّ النَّامِي عَلَىٰ الْإِحْسَانِ، وَأَنْوَارِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ بِأَنْوَاعِهِ وَالثَّنَاءِ.

وَمَعَانِي الْأُلُوهِيَّةِ تَمْلَأُهَا مِنْ أَنْوَارِ التَّعَبُّدِ، وَضِيَاءِ التَّقَرُّبِ، وَسَنَاءِ التَّحَبُّبِ، وَإِسْرَارِ التَّوَدُّدِ، وَحُرِّيَّةِ التَّعَلُّقِ التَّامِّ بِاللهِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَطَلَبًا وَإِنَابَةً، وَانْصِرَافِ الْقَلْبِ عَنْ تَعَلُّقِهِ بِالْأَغْيَارِ كُلِّهَا.

وَمَعَانِي الْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالْقُرْبِ الْخَاصِّ تَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ مِنْ أَنْوَارِ مُرَاقَبَتِهِ، وَتُوَصِّلُهُمْ إِلَىٰ مَقَامِ الْإِحْسَانِ الَّذِي هُوَ أَعْلَىٰ الْمَقَامَاتِ كُلِّهَا؛ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ.

فَكُلُّ مَعْنًىٰ وَنَعْتٍ مِنْ نُعُوتِ الرَّبِّ يَكْفِي فِي امْتِلَاءِ الْقَلْبِ مِنْ نُورِهِ؛ فَكَيْفَ إِذَا تَنَوَّعَتْ وَتَوَارَدَتْ عَلَىٰ الْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ الذَّكِيَّةِ؟!! وَهُنَا يَصْدُقُ عَلَىٰ هَذِهِ الْقُلُوبِ الْقُدُسِيَّةِ انْطِبَاقُ هَذَا الْمَثَلِ عَلَيْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النور: ٣٥] الْآيَةَ.

وَهَذَا النُّورُ الْمَضْرُوبُ هُوَ نُورُ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَبِصِفَاتِهِ وَآيَاتِهِ؛ مَثَلُهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.. مَثَلُ هَذَا النُّورِ الَّذِي جَمَعَ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي فِيهَا زِيَادَةُ النُّورِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَثَلٍ يَعْرِفُهُ الْعِبَادُ، وَقَدْ دَعَا ﷺ لِحُصُولِ هَذَا النُّورِ، فَقَالَ: «**اللهم اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللهم اجْعَلْنِي نُورًا**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم: ٦٣١٦)، ومسلم في «صحيحه» (رقم: ٧٦٣) بلفظ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي**

وَمَتَىٰ امْتَلَأَ الْقَلْبُ مِنْ هَذَا النُّورِ؛ فَاضَ عَلَىٰ الْوَجْهِ، فَاسْتَنَارَ الْوَجْهُ، وَانْقَادَتِ الْجَوَارِحُ بِالطَّاعَةِ رَاغِبَةً.

وَهَذَا النُّورُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ الْعَبْدَ مِنَ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١). فَأَخْبَرَ أَنَّ وُقُوعَ هَذِهِ الْكَبَائِرِ لَا يَكُونُ وَلَا يَقَعُ مَعَ وُجُودِ الْإِيمَانِ وَنُورِهِ.(*).

وَتَحَدَّثَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ نُورِ نَبِيِّنَا ﷺ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ ﷻ لِيُضِيءَ حَيَاةَ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ وَاللِّينِ، وَالرِّفْقِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [لمائدة: ١٥-١٦].

=

نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»، أَوْ قَالَ: «**وَاجْعَلْنِي نُورًا**».

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٢٤٧٥) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» في (رقم٥٧).

والحديث في «صحيح البخاري» (رقم٦٧٨٢ و٦٨٠٩) أيضا، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ)، السَّبْتُ ٢٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ| ٣-٨-٢٠١٣م.

يَقُولُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: قَدْ جَاءَكُمْ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ اللهِ نُورٌ، يَعْنِي بِالنُّورِ مُحَمَّدًا ﷺ، الَّذِي أَنَارَ اللهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَمَحَقَ بِهِ الشِّرْكَ، فَهُوَ نُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ، يُبَيِّنُ الْحَقَّ، وَمِنْ إِنَارَتِهِ الْحَقَّ تَبْيِينُهُ لِلْيَهُودِ كَثِيرًا مِمَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ(١).

وَيَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الَّذِي شَرَّفْنَاكَ وَكَرَّمْنَاكَ بِالنُّبُوَّةِ! إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِعَظَمَةِ رُبُوبِيَّتِنَا مُتَّصِفًا بِخَمْسَةِ أَوْصَافٍ:

الْوَصْفُ الْأَوَّلُ: أَرْسَلْنَاكَ مُبَلِّغًا رِسَالَةَ رَبِّكَ وَجَمِيعَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ لِمَنْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ مِنَ النَّاسِ؛ لِتَكُونَ شَاهِدًا عَلَىٰ أُمَّتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِبْلَاغِهِمُ الرِّسَالَةَ.

الْوَصْفُ الثَّانِي: وَأَرْسَلْنَاكَ مُبَشِّرًا لِمَنْ آمَنَ وَأَطَاعَ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.

الْوَصْفُ الثَّالِثُ: وَأَرْسَلْنَاكَ نَذِيرًا لِمَنْ كَذَّبَ وَعَصَىٰ بِالنَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَارُ.

الْوَصْفُ الرَّابِعُ: وَأَرْسَلْنَاكَ دَاعِيًا إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ بِأَمْرِهِ إِيَّاكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَيَسَّرَ لَكَ أَمْرَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ مَعَ شِدَّتِهَا وَثِقَلِهَا وَعَظِيمِ خَطَرِهَا.

---

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» المعروف بـ «تفسير الطبري» (١٠/ ١٤٣) ط. مؤسسة الرسالة.

الْوَصْفُ الْخَامِسُ: وَمُضِيئًا تَهْدِي بِذَاتِكَ، وَمُؤَثِّرًا فِي غَيْرِكَ بِضِيَائِكَ حَتَّىٰ يَكُونَ ذَا نُورٍ يَهْدِي كَمَا تُؤَثِّرُ الشَّمْسُ بِضِيَائِهَا فِي الْقَمَرِ فَيَبْعَثُ نُورًا.(*).

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابُ نُورٍ، وَكِتَابُ هِدَايَةٍ، وَكِتَابُ رَحْمَةٍ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ حَيْثُ يَقُولُ ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾؛ أَيْ: عَظَّمُوهُ وَبَجَّلُوهُ ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الشَّكِّ وَالْجَهَالَاتِ، وَيُقْتَدَىٰ بِهِ إِذَا تَعَارَضَتِ الْمَقَالَاتُ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الظَّافِرُونَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالنَّاجُونَ مِنْ شَرِّهِمَا؛ لِأَنَّهُمْ أَتَوْا بِأَكْبَرِ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَيُعَزِّرْهُ، وَيَنْصُرْهُ، وَلَمْ يَتَّبِعِ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.(*/٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

يَهْدِي اللهُ لِنُورِ كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهْدِيَهُ مِنْ عِبَادِهِ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِ، وَصِدْقِ طَلَبِهِ وَتَوَجُّهِهِ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» [الأعراف: ١٥٧].

(*/ ٣) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النور: ٣٥].

وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ (النُّورِ) فِي مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى: الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ؛ فَقَدْ بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْإِيمَانَ نُورٌ يُضِيءُ الْقُلُوبَ، وَيَهْدِيهَا إِلَى الْحَقِّ، وَيُكْسِبُهَا الطُّمَأْنِينَةَ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ يَهْدِي مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ، فَيُخْرِجُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ إِلَىٰ نُورِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ الْمُبِينِ السَّهْلِ الْمُنِيرِ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ إِنَّمَا وَلِيُّهُمُ الشَّيَاطِينُ، تُزَيِّنُ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجَهَالَاتِ وَالضَّلَالَاتِ، وَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَحِيدُونَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَىٰ الْكُفْرِ وَالْإِفْكِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وَلِهَذَا وَحَّدَ -تَعَالَىٰ- لَفْظَ النُّورِ، وَجَمَعَ الظُّلُمَاتِ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ، وَالْكُفْرَ أَجْنَاسٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّهَا بَاطِلَةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فِي لَفْظِهَا إِشْعَارٌ بِتَفَرُّدِ الْحَقِّ، وَانْتِشَارِ الْبَاطِلِ، وَتَفَرُّقِهِ وَتَشَعُّبِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، الْمُحَاضَرَة ٢٣)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-١١-٢٠١٦م.

وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا -مَعْنِى الإِسْلَامِ-: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصف: ٨]؛ أَيْ: بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -وَهُمُ الظَّلَمَةُ الْقَائِمُونَ بِمُقَابَلَةِ الْحَقِّ لِيَرُدُّوهُ، وَلِيَنْصُرُوا الْبَاطِلَ- مِنَ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي يَرُدُّونَ بِهَا الْحَقَّ، وَهِيَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا؛ بَلْ تَزِيدُ الْبَصِيرَ مَعْرِفَةً بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أَيْ: قَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِنَصْرِ دِينِهِ، وَإِتْمَامِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَإِشَاعَةِ نُورِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْأَقْطَارِ؛ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَبَذَلُوا بِسَبَبِ كَرَاهَتِهِمْ كُلَّ سَبَبٍ يَتَوَصَّلُونَ بِهِ إِلَىٰ إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ؛ فَإِنَّهُمْ مَغْلُوبُونَ، وَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَنْفُخُ عَيْنَ الشَّمْسِ بِفِيهِ لِيُطْفِئَهَا، فَلَا عَلَىٰ مُرَادِهِمْ حَصَلُوا، وَلَا سَلِمَتْ عُقُولُهُمْ مِنَ النَّقْصِ وَالْقَدْحِ فِيهَا.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ دِينًا وَإِيمَانًا؛ فَلَا دِينَ لَهُ»(٢).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿أَوَمَن كَانَ﴾ مِنْ قَبْلِ هِدَايَةِ اللهِ لَهُ ﴿مَيْتًا﴾ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، وَالْجَهْلِ، وَالْمَعَاصِي، ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بِنُورِ الْعِلْمِ، وَالْإِيمَانِ، وَالطَّاعَةِ، فَصَارَ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ فِي النُّورِ، مُتَبَصِّرًا فِي أُمُورِهِ، مُهْتَدِيًا لِسَبِيلِهِ، عَارِفًا لِلْخَيْرِ مُؤْثِرًا لَهُ، مُجْتَهِدًا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (سُورَةُ الصَّفِّ)، السَّبْتُ ٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٢٣-١-٢٠١٠م.

(٢) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» المعروف بـ «تفسير البغوي» (٣/ ٤٢١).

فِي تَنْفِيذِهِ فِي نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ، عَارِفًا بِالشَّرِّ مُبْغِضًا لَهُ، مُجْتَهِدًا فِي تَرْكِهِ وَإِزَالَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ غَيْرِهِ.

أَفَيَسْتَوِي هَذَا بِمَنْ هُوَ فِي الظُّلُمَاتِ؛ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، وَالْغَيِّ، وَالْكُفْرِ، وَالْمَعَاصِي ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ قَدِ الْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ، وَأَظْلَمَتْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ، فَحَضَرَهُ الْهَمُّ، وَالْغَمُّ، وَالْحُزْنُ، وَالشَّقَاءُ؟!!

فَنَبَّهَ -تَعَالَىٰ- الْعُقُولَ بِمَا تُدْرِكُهُ وَتَعْرِفُهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي هَذَا وَلَا هَذَا، كَمَا لَا يَسْتَوِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالضِّيَاءُ وَالظُّلْمَةُ، وَالْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ.(*).

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

أَفَمَنْ كَانَ ذَا إِيمَانٍ صَحِيحٍ بِإِرَادَةٍ وَاخْتِيَارٍ مِنْ قَلْبِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ لِلتَّطْبِيقَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ، فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ يَهْدِيهِ، وَيَجْعَلُهُ يَسِيرُ فِي حَيَاتِهِ عَلَىٰ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ كَمَنْ هُوَ كَافِرٌ يَجِدُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا، يَنْفِرُ مِنَ التَّطْبِيقَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَشْمَئِزُّ نَفْسُهُ مِنْهَا بِمُقْتَضَىٰ سُنَّةِ اللهِ فِي عِبَادِهِ؛ فَهُوَ فِي حَيَاتِهِ يَسِيرُ فِي مَتَاهَاتِ سُبُلٍ مُظْلِمَةٍ تَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ؟!!

فَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ النَّافِرَةُ الْمُشْمَئِزَّةُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ حِينَمَا يُذَكَّرُونَ بِهِ، أَوْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» [الأنعام: ١٢٢].

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الزمر: ٢٢].

وَلِلْمُؤْمِنِينَ نُورٌ لَا يُفَارِقُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّبَعُوا شَرْعَهُ! اثْبُتُوا عَلَىٰ التَّقْوَىٰ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ يُؤْتِكُمْ نَصِيبَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ؛ نَصِيبًا عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ ﷺ، وَنَصِيبًا عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ السَّابِقِينَ، كَمَا أَعْطَىٰ اللهُ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ نَصِيبَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ؛ أَحَدُهُمَا لِلْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْآخَرُ لِلْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ السَّابِقِ الَّذِي نَسَخَتْ شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ شَرِيعَتَهُ.

وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا مِنَ الْهِدَايَةِ تَمْشُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَنُورًا تَمْشُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَاللهُ كَثِيرُ السَّتْرِ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، دَائِمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

يَقُولُ تَعَالَىٰ -مُبَيِّنًا لِفَضْلِ الْإِيمَانِ، وَاغْتِبَاطِ أَهْلِهِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ-: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ أَيْ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَكُوِّرَتِ الشَّمْسُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَصَارَ النَّاسُ فِي الظُّلْمَةِ، وَنُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ؛ فَحِينَئِذٍ تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، فَيَمْشُونَ بِأَيْمَانِهِمْ وَنُورُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْهَائِلِ الصَّعْبِ، كُلٌّ يَأْخُذُ مِنَ النُّورِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الحديد: ٢٨].

عَلَىٰ قَدْرِ إِيمَانِهِ، وَيُبَشَّرُونَ عِنْدَ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ بِشَارَةٍ، فَيُقَالُ: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

فَلِلَّهِ مَا أَحْلَىٰ هَذِهِ الْبِشَارَةَ بِقُلُوبِهِمْ، وَأَلَذَّهَا لِنُفُوسِهِمْ؛ حَيْثُ حَصَلَ لَهُمْ كُلُّ مَطْلُوبٍ مَحْبُوبٍ، وَنَجَوْا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَرْهُوبٍ.(*).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

قَدْ أَمَرَ اللهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَوَعَدَ عَلَيْهَا بِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ، وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ، حِينَ يَسْعَىٰ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنُورِ إِيمَانِهِمْ، وَيَمْشُونَ بِضِيَائِهِ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِرَوْحِهِ وَرَاحَتِهِ، وَيُشْفِقُونَ إِذَا طُفِئَتِ الْأَنْوَارُ الَّتِي لَا تُعْطَىٰ الْمُنَافِقِينَ، وَيَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يُتِمَّ لَهُمْ نُورَهُمْ، فَيَسْتَجِيبُ اللهُ دَعْوَتَهُمْ، وَيُوصِلُهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ النُّورِ وَالْيَقِينِ إِلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَجِوَارِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ آثَارِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

وَالْمُرَادُ بِهَا: التَّوْبَةُ الْعَامَّةُ الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ الذُّنُوبِ الَّتِي عَقَدَهَا الْعَبْدُ للهِ، لَا يُرِيدُ بِهَا إِلَّا وَجْهَ اللهِ وَالْقُرْبَ مِنْهُ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (سُورَةُ الْحَدِيدِ)، الثُّلَاثَاءُ ١٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣١هـ| ٥-١-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (سُورَةُ التَّحْرِيمِ)، السَّبْتُ ٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٢٣-١-٢٠١٠م.

وَوَرَدَ لَفْظُ (النُّورِ) فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَعْنَى: الْعِلْمِ وَالْهُدَى، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] أَيْ: يُعْطِكُمْ عِلْمًا وَهُدًىٰ وَنُورًا تَمْشُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، وَيَغْفِرْ لَكُمُ السَّيِّئَاتِ.(*).

وَوَرَدَ لَفْظُ (النُّورِ) بِمَعْنَيَيْهِ: الْحِسِّيِّ، وَالْمَعْنَوِيِّ؛ الْحِسِّيِّ بِمَعْنَى: ضَوْءِ النَّهَارِ، وَالْمَعْنَوِيِّ بِمَعْنَى: الْعِلْمِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْيَقِينِ، وَالطَّاعَةِ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَمْدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ عُمُومًا، وَعَلَىٰ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ خُصُوصًا؛ فَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَسَعَةِ عِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَعُمُومِ حِكْمَتِهِ، وَانْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَعَلَىٰ جَعْلِهِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، وَذَلِكَ شَامِلٌ لِلْحِسِّيِّ مِنْ ذَلِكَ؛ كَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْمَعْنَوِيِّ؛ كَظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، وَالشَّكِّ، وَالشِّرْكِ، وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْغَفْلَةِ، وَنُورِ الْعِلْمِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْيَقِينِ، وَالطَّاعَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً أَنَّهُ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ.(*/٢).

وَوَرَدَ بِمَعْنَى ضَوْءِ الْقَمَرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].

جَعَلَ الْقَمَرَ فِي السَّمَاوَاتِ نُورًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (سُورَةُ الْحَدِيدِ)، الثُّلَاثَاءُ ١٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣١هـ| ٥-١-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» [الأنعام: ١].

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» (سُورَةُ نُوحٍ)، السَّبْتُ ١٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٣٠-١-٢٠١٠م.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

رَبُّكُمُ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ كُتْلَةً نَارِيَّةً مُلْتَهِبَةً تُشِعُّ الضَّوْءَ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ جِرْمًا يَبْعَثُ النُّورَ.(*).

وَالشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ نُورٌ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وَالشُّهَدَاءُ هُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَقُتِلُوا؛ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَجْرٌ جَزِيلٌ، وَنُورٌ عَظِيمٌ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ بِحَسَبِ مَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا فِي أَعْمَالِهِمْ.

فَهَذِهِ الْمَكَانَةُ لِلشُّهَدَاءِ خَاصَّةً.(*/٢).

وَالصَّلَاةُ نُورٌ إِذَا أَحْسَنَ الْمُؤْمِنُ أَدَاءَهَا وَخُشُوعَهَا، وَعَادَ أَثَرُهَا عَلَى سُلُوكِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَذَلِكَ لِمَا يَحْصُلُ لِلْقَلْبِ بِالصَّلَاةِ؛ مِنْ إِنَابَةٍ إِلَىٰ اللهِ، وَحُضُورٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقُوَّةٍ فِي الْإِيمَانِ، وَاسْتِنَارَةٍ فِي الْقَلْبِ، وَصَلَاحٍ فِي الْأَحْوَالِ، فَلَا يَزَالُ طَعْمُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [يونس: ٥].

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالِادِّعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٠هـ| ٨-٣-٢٠١٩م.

ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ، وَكُلَّمَا هَمَّ بِمُنْكَرٍ أَوْ فَحْشَاءَ؛ تَذَكَّرَ تِلْكَ الصِّلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَابْتَعَدَ عَنْ ذَلِكَ.(*).

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَو تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيْكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).(*/٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؛ كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلا بُرْهَانٌ، وَلا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**»(٤). رَوَاهُ أَحْمَدُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَابِ «صِفَةُ الصَّلَاةِ» – (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٣٥هـ| ٢٩-٤-٢٠١٤م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (١/ ٢٠٣، رقم ٢٢٣)، وتمامه: «... **وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْقُلُوبِ» – الْجُمُعَةِ: ٢٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٨هـ| ٢١- ٤- ٢٠١٧م.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٢/ ١٦٩، رقم ٦٥٧٦)، وعبد بن حميد في المنتخب من «**الْمُسْنَدِ**»: (١/ ٢٨٥، رقم ٣٥٣)، والدارمي فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٣/ ١٧٨٩، رقم ٢٧٦٣)، والخلال في «**السنة**»: (٤/ ٧٥ – ٧٦، رقم ١١٩٦).

والحديث حسن إسناده الألباني في «**الثمر المستطاب**»: (١/ ٥٢ – ٥٣).

فَمَنْ حَافَظَ عَلَىٰ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ، وَأَدَّاهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ؛ كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.(*).

وَالْوُضُوءُ نُورٌ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «**تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَالْوُضُوءُ عَلَامَةٌ تُمَيِّزُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عِنْدَ وُرُودِ الْحَوْضِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**»(٣). (*/٢).

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ (النُّورِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ يَدُورُ أَغْلَبُهَا عَلَى مَعَانٍ مَعْنَوِيَّةٍ؛ كَـ(الْإِسْلَامِ)، وَ(الْإِيمَانِ)، وَ(الْهُدَى)، وَ(الْقُرْآنِ)، وَوَرَدَ بِدَرَجَةٍ أَقَلَّ بِمَعْنَى النُّورِ الْمَادِّيِّ.

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ هِدَايَةً وَنُورًا(*/٣)؛ فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ فِي كِتَابِهِ الْهُدَىٰ، وَالنُّورَ، وَالرَّشَادَ، وَإِصْلَاحَ الْأُمُورِ كُلِّهَا.(*/٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَابِ «صِفَةُ الصَّلَاةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ - الثُّلَاثَاءُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٣٥هـ| ٢٩-٤-٢٠١٤م.

(٢) أخرجه مسلم (باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم: ٢٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء، رقم: ١٣٦)، ومسلم (باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم: ٢٤٦).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ: «كِتَابُ الطَّهَارَةِ مِنْ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْأَنَامِ».

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الْقُرْآنُ وَصِحَّةُ الْمُعْتَقَدِ».

(*/ ٤) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ)، السَّبْتُ ٢٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٨-٩-٢٠١٣م.

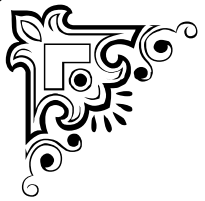

مِنْ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ وَمَحَاسِنِهِ

لَقَدْ مَدَحَ اللهُ -تَعَالَىٰ- كِتَابَهُ الْعَزِيزَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ -وَهُوَ الْقُرْآنُ- بِأَنَّهُ يَهْدِي لِأَقْوَمِ الطُّرُقِ، وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ عَلَىٰ مُقْتَضَاهُ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.(*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الكهف: ٩].

يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- عَنْ شَرَفِ الْقُرْآنِ وَجَلَالَتِهِ، وَأَنَّهُ ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أَيْ: أَعْدَلُ وَأَعْلَىٰ؛ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَخْلَاقِ، فَمَنِ اهْتَدَىٰ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْقُرْآنُ؛ كَانَ أَكْمَلَ النَّاسِ وَأَقْوَمَهُمْ، وَأَهْدَاهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالسُّنَنِ ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، لَا يَعْلَمُ وَصْفَهُ إِلَّا هُوَ.(*/٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِن: «تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرِ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» [الكهف: ٩].

وَقْتُ صِيَامِكُمْ: شَهْرُ رَمَضَانَ، وَسَبَبُ تَخْصِيصِهِ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ: نُزُولُ الْقُرْآنِ فِيهِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، أُنْزِلَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ نَزَلَ مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا خِلَالَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَىٰ حَسَبِ الْحَاجَةِ وَالْوَقَائِعِ.

وَمِنْ صِفَةِ هَذَا الْقُرْآنِ: أَنَّهُ هُدًىٰ لِلنَّاسِ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَطَرِيقِ نَجَاتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ، وَهَذَا الْهُدَىٰ جَاءَ فِي آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ كَاشِفَاتٍ وَجْهَ الْحَقِّ وَسَبِيلَ الرَّشَادِ، وَهَذَا الْهُدَىٰ فَارِقٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يُزِيلُ الِالْتِبَاسَ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الْمُخْتَلِطَاتِ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا؛ وَقَعَ فِي الِالْتِبَاسِ، وَتَدَاخَلَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، وَاخْتَلَطَتْ عَلَيْهِ الْمُتَشَابِهَاتُ الْمُتَقَارِبَاتُ.(*).

إِنَّ هِدَايَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَمْتَازُ بِالْوُضُوحِ وَالظُّهُورِ، وَعَدَمِ الْخَفَاءِ فِي الدَّلِيلِ، وَفِي الْأَلْفَاظِ، وَفِي الْمَدْلُولِ.

إِنَّ هِدَايَةَ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ الْهِدَايَاتِ، وَأَوْضَحُهَا، وَأَقْوَاهَا(٢)**، وَمِنْ أَعْظَمِ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ: تَقْرِيرُ التَّوْحِيدِ، وَنَفْيُ ضِدِّهِ.**

يَكَادُ الْقُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ لِتَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ، وَنَفْيِ ضِدِّهِ، وَأَكْثَرُ الْآيَاتِ يُقَرِّرُ اللهُ فِيهَا تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ، وَإِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُخْبِرُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

(٢) بتصرف يسير واختصار من: «هداية القرآن .. أعظم الهدايات وأوضحها وأقواها» من مقال للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة تحت عنوان: (التفسير العلمي للقرآن الكريم)، نشر مجلة رابطة العالم الإسلامي بعددها الصادر أول محرم ١٣٩٥ هـ.

أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ إِنَّمَا أُرْسِلَتْ تَدْعُو قَوْمَهَا إِلَىٰ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- إِنَّمَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُوهُ، وَأَنَّ الْكُتُبَ وَالرُّسُلَ اتَّفَقَتْ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ كُلِّهَا، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَدِنْ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي هُوَ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ؛ فَعَمَلُهُ بَاطِلٌ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وَيَدْعُو الْعِبَادَ إِلَىٰ مَا تَقَرَّرَ فِي فِطَرِهِمْ وَعُقُولِهِمْ مِنْ أَنَّ الْمُتَفَرِّدَ بِالْخَلْقِ، وَالتَّدْبِيرِ، وَالْمُتَفَرِّدَ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ سَائِرَ الْخَلْقِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ أَيُّ قُدْرَةٍ عَلَىٰ خَلْقٍ، وَلَا نَفْعٍ، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُغْنُوا عَنْ أَحَدٍ غَيْرِهِمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

وَيَدْعُوهُمْ -أَيْضًا- إِلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ بِمَا يَتَمَدَّحُ بِهِ، وَيُثْنِي عَلَىٰ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ؛ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِصِفَاتِ الْعَظَمَةِ وَالْمَجْدِ، وَالْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَأَنَّ مَنْ لَهُ هَذَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ مُشَارِكٌ أَحَقُّ مَنْ أُخْلِصَتْ لَهُ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ.

وَيُقَرِّرُ هَذَا التَّوْحِيدَ بِأَنَّهُ هُوَ الْحَاكِمُ وَحْدَهُ، فَلَا يَحْكُمُ غَيْرُهُ شَرْعًا وَلَا جَزَاءً ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

وَتَارَةً يُقَرِّرُ هَذَا بِذِكْرِ مَحَاسِنِ التَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ الدِّينُ الْوَحِيدُ الْوَاجِبُ شَرْعًا وَعَقْلًا وَفِطْرَةً عَلَىٰ جَمِيعِ الْعَبِيدِ، وَبِذِكْرِ مَسَاوِئِ الشِّرْكِ وَقُبْحِهِ، وَاخْتِلَالِ عُقُولِ أَصْحَابِهِ بَعْدَ اخْتِلَالِ أَدْيَانِهِمْ، وَتَقْلِيبِ أَفْئِدَتِهِمْ، وَكَوْنِهِمْ فِي شَكٍّ وَأَمْرٍ مَرِيجٍ.

وَتَارَةً يَدْعُو إِلَيْهِ -أَيْ: إِلَىٰ هَذَا التَّوْحِيدِ.. تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ وَإِخْلَاصِهَا لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ- بِذِكْرِ مَا رَتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّورِ الثَّلَاثِ، وَمَا رَتَّبَ عَلَىٰ ضِدِّهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَكَيْفَ كَانَتْ عَوَاقِبُ الْمُشْرِكِينَ أَسْوَأَ الْعَوَاقِبِ وَشَرَّهَا.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَكُلُّ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَآجِلٍ فَإِنَّهُ مِنْ ثَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ، وَكُلُّ شَرٍّ عَاجِلٍ وَآجِلٍ فَإِنَّهُ مِنْ ثَمَرَاتِ الشِّرْكِ.

وَمِنْ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَحَاسِنِهِ: طَرِيقَةُ دَعْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَخِطَابِهِمْ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ سَبِيلِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، أَيْ: بِأَقْرَبِ طَرِيقٍ مُوصِلٍ لِلْمَقْصُودِ، مُحَصِّلٍ لِلْمَطْلُوبِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الطُّرُقَ الَّتِي سَلَكَهَا اللهُ فِي خِطَابِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ هِيَ أَحْسَنُهَا وَأَقْرَبُهَا.

فَأَكْثَرُ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ بِالْوَصْفِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْهِمْ بِهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا افْعَلُوا كَذَا، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتْرُكُوا كَذَا؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ دَعْوَةً لَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مِنْ جِهَةِ الْحَثِّ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْإِيمَانِ، وَشُرُوطِهِ، وَمُكَمِّلَاتِهِ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُومُوا بِمَا يَقْتَضِيهِ إِيمَانُكُمْ مِنَ امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَالتَّخَلُّقِ بِكُلِّ خُلُقٍ حَمِيدٍ، وَالتَّجَنُّبِ لِكُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ.

وَالْوَجْهِ الثَّانِي: أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ افْعَلُوا كَذَا، أَوِ اتْرُكُوا كَذَا، أَوْ يُعَلِّقُ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ، يَدْعُوهُمْ بِمِنَّتِهِ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ الَّتِي هِيَ

أَجَلُّ الْمِنَنِ، أَيْ: يَا مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ! قُومُوا بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِفِعْلِ كَذَا وَتَرْكِ كَذَا.

فَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ: دَعْوَةٌ لَهُمْ أَنْ يُتَمِّمُوا إِيمَانَهُمْ وَيُكَمِّلُوهُ بِالشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

هَذَا يَدُلُّنَا عَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ وَأَنَّ الشَّرَائِعَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ مِنَ الْإِيمَانِ وَمِنْ مُسَمَّاهُ، كَمَا هِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ أَنَّ الْإِيمَانَ: عَقْدُ الْقَلْبِ، وَنُطْقُ اللِّسَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، فَهَذَا كُلُّهُ هُوَ الْإِيمَانِ، فَالْأَعْمَالُ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: دَعْوَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ شُكْرِ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ بِبَيَانِ تَفْصِيلِ هَذَا الشُّكْرِ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ التَّامُّ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

وَتَارَةً يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الْخَيْرِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ بِذِكْرِ آثَارِ الْخَيْرِ وَعَوَاقِبِهِ الْحَمِيدَةِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَبِذِكْرِ آثَارِ الشَّرِّ وَعَوَاقِبِهِ الْوَخِيمَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَتَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ بِذِكْرِ نِعَمِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَآلَائِهِ الْجَزِيلَةِ، وَأَنَّ النِّعَمَ تَقْتَضِي مِنْهُمُ الْقِيَامَ بِشُكْرِهَا، وَشُكْرُهَا هُوَ الْقِيَامُ بِحُقُوقِ الْإِيمَانِ.

وَتَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الِالْتِزَامِ بِالشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَبِذِكْرِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ مِنَ الثَّوَابِ، وَمَا أَعَدَّ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ.

وَتَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ بِذِكْرِ مَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَمَا لَهُ مِنَ الْحَقِّ الْعَظِيمِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَأَنَّ حَقَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِعُبُودِيَّتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيَتَعَبَّدُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَيَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ.

فَالْعِبَادَاتُ كُلُّهَا وَتَعْظِيمٌ وَتَكْبِيرٌ للهِ، وَإِجْلَالٌ وَإِكْرَامٌ، وَتَوَدُّدٌ إِلَيْهِ، وَتَقَرُّبٌ مِنْهُ.

وَتَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَتَّخِذُوهُ وَحْدَهُ وَلِيًّا وَمَلْجَأً، وَمَلَاذًا وَمَعَاذًا، وَمَفْزَعًا إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَإِنَابَةً إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ أَصْلُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَصَلَاحِهِ وَفَلَاحِهِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي وَلَايَةِ اللهِ وَتَوَلِّيهِ الْخَاصِّ؛ تَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ الَّذِي يُرِيدُ لَهُ الشَّرَّ وَالشَّقَاءَ، وَيُمَنِّيهِ وَيَغُرُّهُ؛ حَتَّىٰ يُفَوِّتَهُ الْمَنَافِعَ وَالْمَصَالِحَ، وَيُوقِعَهُ فِي الْمَهَالِكِ -يَعْنِي الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ-.

وَهَذَا كُلُّهُ مَبْسُوطٌ فِي الْقُرْآنِ بِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

وَتَارَةً يَحُثُّهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الْغَفْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ وَالْأَدْيَانِ الْمُبَدَّلَةِ؛ لِئَلَّا يَلْحَقَهُمْ مِنَ اللَّوْمِ مَا لَحِقَ أُولَئِكَ الْأَقْوَامَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [لأعراف: ٢٠٥].

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، الِاثْنَيْنِ ٢٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٨-١٠-٢٠١٣م.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: طُرُقُ دَعْوَةِ الْكُفَّارِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ.

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا يَصِفُهُ مِنْ مَحَاسِنِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ، وَمَا يَذْكُرُهُ مِنْ بَرَاهِينِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِيَهْتَدِيَ مَنْ قَصْدُهُ الْحَقُّ وَالْإِنْصَافُ، وَلِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَىٰ الْمُعَانِدِ.

وَهَذِهِ أَعْظَمُ طَرِيقٍ يُدْعَىٰ بِهَا جَمِيعُ الْمُخَالِفِينَ لِدِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ مَحَاسِنَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَمَحَاسِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَآيَاتِهِ وَبَرَاهِينَهُ فِيهَا كِفَايَةٌ تَامَّةٌ لِلدَّعْوَةِ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِبْطَالِ شُبَهِهِمْ وَمَا يَحْتَجُّونَ بِهِ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ إِذَا اتَّضَحَ؛ عُلِمَ أَنَّ كُلَّ مَا خَالَفَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ.

وَيَدْعُوهُمْ بِمَا يُخَوِّفُهُمْ؛ مِنْ أَخَذَاتِ الْأُمَمِ، وَعُقُوبَاتِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِ الْآخِرَةِ، وَبِمَا فِي الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ وَالْعَوَاقِبِ الْخَبِيثَةِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ طَاعَةِ رُؤَسَاءِ الشَّرِّ وَدُعَاةِ النَّارِ، وَأَنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ تَتَقَطَّعَ نُفُوسُهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ حَسَرَاتٍ، وَأَنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَوْ أَطَاعُوا الرَّسُولَ ﷺ، وَلَمْ يُطِيعُوا السَّادَةَ وَالرُّؤَسَاءَ، وَأَنَّ مَوَدَّتَهُمْ وَصَدَاقَتَهُمْ سَتَتَبَدَّلُ بَغْضَاءَ وَعَدَاوَةً.

وَيَدْعُوهُمْ -أَيْضًا- بِنَحْوِ مَا يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ؛ بِذِكْرِ آلَائِهِ وَنِعَمِهِ، وَأَنَّ الْمُنْفَرِدَ بِالْخَلْقِ، وَالتَّدْبِيرِ، وَالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ هُوَ الَّذِي يَجِبُ عَلَىٰ الْعِبَادِ طَاعَتُهُ، وَامْتِثَالُ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ.

وَيَدْعُوهُمْ -أَيْضًا- بِشَرْحِ مَا فِي أَدْيَانِهِمُ الْبَاطِلَةِ، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْقُبْحِ، وَالْمُقَارَنَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِينِ الْإِسْلَامِ -أَيْ: بَيْنَ أَدْيَانِهِمُ الْبَاطِلَةِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ-؛ لِيَتَبَيَّنَ وَيَتَّضِحَ مَا يَجِبُ إِيثَارُهُ، وَمَا يَتَعَيَّنُ اخْتِيَارُهُ.

وَيَدْعُوهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا وَصَلَتْ بِهِمُ الْحَالُ إِلَىٰ الْعِنَادِ وَالْمُكَابَرَةِ الظَّاهِرَةِ؛ تَوَعَّدَهُمْ بِالْعُقُوبَاتِ الصَّوَارِمِ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ طَرِيقَتَهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُخَالِفُوا الدِّينَ جَهْلًا وَضَلَالًا، أَوْ لِقِيَامِ شُبْهَةٍ أَوْجَبَتْ لَهُمُ التَّوَقُّفَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ جُحُودٌ وَمُكَابَرَةٌ وَعِنَادٌ.

وَيُبَيِّنُ مَعَ ذَلِكَ الْأَسْبَابَ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ مِنْ مُتَابَعَةِ الْهُدَىٰ، وَأَنَّهَا رِيَاسَاتٌ وَأَغْرَاضٌ نَفْسِيَّةٌ، وَأَنَّهُمْ لَمَّا آثَرُوا الْبَاطِلَ عَلَىٰ الْحَقِّ؛ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَخَتَمَ عَلَيْهَا، وَسَدَّ عَلَيْهِمْ طُرُقَ الْهُدَىٰ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ إِعْرَاضِهِمْ وَتَوَلِّيهِمْ لِلشَّيْطَانَ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ وَلَايَةِ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّهُ وَلَّاهُمْ مَا تَوَلَّوْا لِأَنْفُسِهِمْ.

وَهَذِهِ الْمَعَانِي الْجَزِيلَةُ مَبْسُوطَةٌ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ فَتَأَمَّلْ وَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ تَجِدْهَا وَاضِحَةً جَلِيَّةً.

وَمِنْ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ وَمَحَاسِنِهِ: طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ فِي الْحِجَاجِ وَالْمُجَادَلَةِ مَعَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَمَنْ تَأَمَّلَ الطُّرُقَ الَّتِي نَصَبَ اللهُ الْمُحَاجَّةَ بِهَا مَعَ الْمُبْطِلِينَ عَلَىٰ أَيْدِي رُسُلِهِ؛ رَآهَا مِنْ أَوْضَحِ الْحُجَجِ وَأَقْوَاهَا، وَأَقْوَمِهَا وَأَدَلِّهَا عَلَىٰ إِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِزْهَاقِ الْبَاطِلِ عَلَىٰ وَجْهٍ لَا تَشْوِيشَ فِيهِ وَلَا إِزْعَاجَ.

فَتَأَمَّلْ مُحَاجَّةَ الرُّسُلِ مَعَ أُمَمِهِمْ، وَكَيْفَ دَعَوْهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِالنِّعَمِ، وَهُوَ الَّذِي أَعْطَاهُمُ الْعَافِيَةَ، وَالْأَسْمَاعَ، وَالْأَبْصَارَ، وَالْعُقُولَ، وَالْأَرْزَاقَ، وَسَائِرَ أَصْنَافِ النِّعَمِ، كَمَا أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِدَفْعِ النِّقَمِ، وَأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ لَيْسَ عِنْدَهُ رَفْعٌ وَلَا دَفْعٌ، وَلَا ضُرٌّ

وَلَا نَفْعٌ؛ فَإِنَّهُ بِمُجَرَّدِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِذَلِكَ وَاعْتِرَافِهِ بِهِ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَنْقَادَ لِلدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي بِهِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِشُكْرِهَا.

وَكَثِيرًا مَا يَحْتَجُّ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ بِإِلْزَامِهِمْ بِاعْتِرَافِهِمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالرَّازِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، فَيَتَعَيَّنُ أَنَّهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ.

فَيَدْخُلُ بِهِمْ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

فَانْظُرْ إِلَىٰ هَذَا الْبُرْهَانِ كَيْفَ يَنْتَقِلُ الذِّهْنُ مِنْهُ بِأَوَّلِ وَهْلَةٍ إِلَىٰ وُجُوبِ عِبَادَةِ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ، وَوُجُوبِ الْإِخْلَاصِ لَهُ.

وَيُجَادِلُ الْمُبْطِلِينَ -أَيْضًا- بِذِكْرِ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ، وَأَنَّهَا نَاقِصَةٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، لَا تُغْنِي عَنْ نَفْسِهَا -فَضْلًا عَنْ عَابِدِيهَا- شَيْئًا.

وَيُقِيمُ الْأَدِلَّةَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ سَوَابِقِ الْمُخَالَفَاتِ لِرُسُلِهِمْ مَا لَا يُسْتَغْرَبُ مَعَهُ مُخَالَفَتُهُمْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَيَنْقُضُ عَلَيْهِمْ دَعَاوِيَهُمُ الْبَاطِلَةَ، وَتَزْكِيَتَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ بِالزُّورِ، بِبَيَانِ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَوْصَافِهِمْ، وَيُجَادِلُهُمْ بِتَوْضِيحِ الْحَقِّ وَبَيَانِ بَرَاهِينِهِ، وَأَنَّ صِدْقَهُ وَحَقِّيَّتَهُ تُدْفَعُ بِمُجَرَّدِهَا جَمِيعُ الشُّبَهِ الْمُعَارِضَةِ لَهُ؛ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

وَهَذَا الْأَصْلُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ؛ فَإِنَّهُ يُفِيدُ الدَّعْوَةَ لِلْحَقِّ، وَرَدَّ كُلِّ مَا يُنَافِيهِ.

وَيُجَادِلُهُمْ بِوُجُوبِ تَنْزِيلِ الْأُمُورِ مَنَازِلَهَا، وَأَنَّهُ لَا يَلِيقُ أَنْ يُجْعَلَ لِلْمَخْلُوقِ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ الْعَاجِزِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بَعْضُ حُقُوقِ الرَّبِّ الْخَالِقِ الْغَنِيِّ الْكَامِلِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ.

وَيَتَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِكِتَابٍ أَوْ شَرِيعَةٍ أَهْدَىٰ وَأَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَمِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنْ يُعَارِضُوا الْقُرْآنَ فَيَأْتُوا بِمِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ.

وَيَأْمُرُ نَبِيَّهُ بِمُبَاهَلَةِ مَنْ ظَهَرَتْ مُكَابَرَتُهُ وَعِنَادُهُ، فَيَنْكُصُونَ عَنْهَا؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ الصَّادِقُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، وَأَنَّهُمْ لَوْ بَاهَلُوهُ لَهَلَكُوا.

وَفِي الْجُمْلَةِ؛ لَا تَجِدُ طَرِيقًا نَافِعًا فِيهِ إِحْقَاقُ الْحَقِّ وَإِبْطَالُ الْبَاطِلِ إِلَّا وَقَدْ احْتَوَىٰ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ.(*).

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْقُرْآنِ: إِرْشَادُ الْقُرْآنِ إِلَىٰ التَّوَسُّطُ وَالِاعْتِدَالُ، وَذَمُّ التَّقْصِيرِ وَالْغُلُوِّ.

الْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَىٰ التَّوَسُّطِ وَالِاعْتِدَالِ فِي الْأُمُورِ، وَيَذُمُّ التَّقْصِيرَ، وَالْغُلُوَّ، وَمُجَاوَزَةَ الْحَدِّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وَالْآيَاتُ الْآمِرَةُ بِالْعَدْلِ، وَالنَّاهِيَةُ عَنْ ضِدِّهِ كَثِيرَةٌ.

وَالْعَدْلُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ: لُزُومُ الْحَدِّ فِيهَا، وَأَلَّا يَغْلُوَ وَيَتَجَاوَزَ الْحَدَّ، كَمَا لَا يُقَصِّرَ وَيَدَعَ بَعْضَ الْحَقِّ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٩-١٠-٢٠١٣م.

وَمِنْ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ وَمَحَاسِنِهِ: الْأَمْرُ بِحِفْظِ حُدُودِ اللهِ، وَالنَّهْيُ عَنْ تَعَدِّيهَا وَقُرْبَانِهَا؛ فَقَدْ أَمَرَ الْقُرْآنُ بِحِفْظِ حُدُودِ اللهِ، وَنَهَىٰ عَنْ تَعَدِّيهَا وَقُرْبَانِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

أَمَّا حُدُودُ اللهِ: فَهِيَ مَا حَدَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِفِعْلِهَا، وَالْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِتَرْكِهَا.

فَالْحِفْظُ لَهَا: أَدَاءُ الْحُقُوقِ اللَّازِمَةِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

فَالْخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ وَالْفَلَاحُ فِي مَعْرِفَةِ حُدُودِ اللهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، كَمَا أَنَّ أَصْلَ الشَّرِّ وَأَسْبَابِ الْعُقُوبَاتِ: الْجَهْلُ بِحُدُودِ اللهِ، أَوْ تَرْكُ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، أَوِ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّرَّيْنِ.(*).

مِنْ مَحَاسِنِ كِتَابِ اللهِ الْعَظِيمِ: حَثُّ الْبَارِي -سُبْحَانَهُ- فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ بِالصَّلَاحِ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَالْإِصْلَاحِ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ وَالْمُصْلِحِينَ فِي آيَاتٍ أُخَرَ.

وَالصَّلَاحُ: أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ كُلُّهَا مُسْتَقِيمَةً مُعْتَدِلَةً، مَقْصُودًا بِهَا غَايَتَهَا الْحَمِيدَةَ، فَأَمَرَ اللهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّ أَعْمَالَ الْخَيْرِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٦ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٣١-١٠-٢٠١٣م.

تُصْلِحُ الْقُلُوبَ وَالْإِيمَانَ، وَتُصْلِحُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَضِدُّهَا فَسَادُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِيهَا الثَّنَاءُ عَلَىٰ الْمُصْلِحِينَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ، وَالْمُصْلِحِينَ بَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّصَالُحِ فِيمَا بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينِ، وَأَخْبَرَ عَلَىٰ وَجْهِ الْعُمُومِ أَنَّ الصُّلْحَ خَيْرٌ.

فَإِصْلَاحُ الْأُمُورِ الْفَاسِدَةِ: السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ مَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الشُّرُورِ وَالضَّرَرِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ.

وَمِنْ أَهَمِّ أَنْوَاعِ الْإِصْلَاحِ: السَّعْيُ فِي إِصْلَاحِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فِي إِصْلَاحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، كَمَا قَالَ شُعَيْبٌ عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

فَكُلُّ سَاعٍ فِي مَصْلَحَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ لِلْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مُصْلِحٌ، وَاللهُ يَهْدِيهِ وَيُرْشِدُهُ وَيُسَدِّدُهُ، وَكُلُّ سَاعٍ بِضِدِّ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْسِدٌ، وَاللهُ -تَعَالَىٰ- لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ.

وَمِنْ أَهَمِّ مَا حَثَّ اللهُ عَلَيْهِ: السَّعْيُ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعَيْنِ، كَمَا أَمَرَ اللهُ بِذَلِكَ فِي الدِّمَاءِ، وَالْأَمْوَالِ، وَالْحُقُوقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يُصْلِحَ بِالْعَدْلِ، وَيَسْلُكَ كُلَّ طَرِيقٍ تُوصِلُ إِلَىٰ الْمُلَاءَمَةِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعَيْنِ؛ فَإِنَّ آثَارَ الصُّلْحِ بَرَكَةٌ، وَخَيْرٌ، وَصَلَاحٌ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ)، الثُّلَاثَاءُ ١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٥-١١-٢٠١٣م.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْقُرْآنِ: اشْتِمَالُهُ عَلَى أَفْضَلِ طُرُقِ التَّعْلِيمِ.

لَقَدِ احْتَوَىٰ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَىٰ أَعْلَىٰ وَأَكْمَلِ وَأَنْفَعِ الْمَوَاضِيعِ الَّتِي يَحْتَاجُ الْخَلْقُ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ؛ فَقَدِ احْتَوَىٰ عَلَىٰ أَحْسَنِ طُرُقِ التَّعْلِيمِ، وَإِيصَالِ الْمَعَانِي إِلَىٰ الْقُلُوبِ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ وَأَوْضَحِهِ.

فَمِنْ أَنْوَاعِ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ الْعَالِيَةِ: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ، وَهَذَا النَّوْعُ يَذْكُرُهُ الْبَارِي فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ، كَالتَّوْحِيدِ وَحَالِ الْمُوَحِّدِ، وَالشِّرْكِ وَحَالَةِ أَهْلِهِ، وَالْأَعْمَالِ الْعَامَّةِ الْجَلِيلَةِ.

وَيَقْصِدُ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ تَوْضِيحَ الْمَعَانِي النَّافِعَةِ، وَتَمْثِيلَهَا بِالْأُمُورِ الْمَحْسُوسَةِ؛ لِيَصِيرَ الْقَلْبُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُ مَعَانِيَهَا رَأْيَ الْعَيْنِ.

وَهَذَا مِنْ عِنَايَةِ الْبَارِي بِعِبَادِهِ وَلُطْفِهِ.(*).

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْقُرْآنِ: أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود: ١].

وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ الْقُرْآنَ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَنِهَايَةِ الِانْتِظَامِ، فَأَخْبَارُهُ كُلُّهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ، لَا تَنَاقُضَ فِيهَا وَلَا اخْتِلَافَ، وَأَوَامِرُهُ كُلُّهَا خَيْرٌ، وَبَرَكَةٌ، وَصَلَاحٌ، وَنَوَاهِيهِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالشُّرُورِ، وَالْأَضْرَارِ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٦ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٣١-١٠-٢٠١٣م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٣٠-١٠-٢٠١٣م.

مِنْ مَحَاسِنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: هِدَايَتُهُ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

مَا أَعْظَمَ هَذَا الْأَصْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي نَصَّ اللهُ عَلَيْهِ نَصًّا صَرِيحًا، وَعَمَّمَ ذَلِكَ وَلَمْ يُقَيِّدْهُ بِحَالَةٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ فَكُلُّ حَالَةٍ هِيَ أَقْوَمُ فِي الْعَقَائِدِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالسِّيَاسَاتِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَالصِّنَاعَاتِ، وَالْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي إِلَيْهَا، وَيُرْشِدُ إِلَيْهَا، وَيَأْمُرُ بِهَا، وَيَحُثُّ عَلَيْهَا.

وَمَعْنَىٰ ﴿أَقْوَمُ﴾؛ أَيْ: أَكْمَلُ، وَأَصْلَحُ، وَأَعْظَمُ قِيَامًا وَصَلَاحًا.

فَأَمَّا الْعَقَائِدُ؛ فَإِنَّ عَقَائِدَ الْقُرْآنِ هِيَ الْعَقَائِدُ النَّافِعَةُ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاؤُهَا، وَكَمَالُهَا؛ فَإِنَّهَا تَمْلَأُ الْقُلُوبَ مَحَبَّةً لِلهِ؛ وَتَعْظِيمًا لِلهِ، وَأُلُوهِيَّةً وَإِنَابَةً، وَهَذَا الْمَعْنَىٰ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ اللهُ الْخَلْقَ لِأَجْلِهِ.

وَأَمَّا أَخْلَاقُهُ -أَيْ: أَخْلَاقُ الْقُرْآنِ- الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ التَّحَلِّي بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ؛ مِنَ الصَّبْرِ، وَالْحِلْمِ، وَالْعَفْوِ، وَالْأَدَبِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَيَحُثُّ عَلَيْهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيُرْشِدُ إِلَيْهَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ.

وَأَمَّا الْأَعْمَالُ الدِّينِيَّةُ الَّتِي يَهْدِي إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ؛ فَهِيَ أَحْسَنُ الْأَعْمَالِ الَّتِي فِيهَا الْقِيَامُ بِحُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْحَالَاتِ، وَأَجَلِّهَا، وَأَسْهَلِهَا، وَأَوْصَلِهَا إِلَىٰ الْمَقَاصِدِ.

وَأَمَّا السِّيَاسَاتُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ؛ فَالْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَىٰ سُلُوكِ الطُّرُقِ النَّافِعَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ الْكُلِّيَّةِ، وَفِي دَفْعِ الْمَفَاسِدِ، وَيَأْمُرُ بِالتَّشَاوُرِ عَلَىٰ مَا لَمْ

تَتَّضِحْ مَصْلَحَتُهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْوَقْتَ وَالْحَالَ؛ حَتَّىٰ فِي سِيَاسَةِ الْعَبْدِ مَعَ أَوْلَادِهِ، وَزَوْجِهِ، وَأَهْلِهِ، وَخَادِمِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَمُعَامِلِيهِ.

فَلَا يُمْكِنُ أَنَّهُ وُجِدَتْ أَوْ تُوجَدُ حَالَةٌ يَتَّفِقُ الْعُقَلَاءُ أَنَّهَا أَقْوَمُ وَأَصْلَحُ مِنْ غَيْرِهَا إِلَّا وَالْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَيْهَا نَصًّا وَظَاهِرًا، أَوْ دُخُولًا تَحْتَ قَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِهِ الْكُلِّيَّةِ.

وَتَفْصِيلُ هَذَا الْأَصْلِ لَا يُمْكِنُ اسْتِيفَاؤُهُ .

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَالتَّفَاصِيلُ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَفِي السُّنَّةِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْإِخْبَارَاتِ كُلُّهَا تَفْصِيلٌ لِهَذَا الْأَصْلِ الْمُحِيطِ.

وَبِهَذَا وَغَيْرِهِ يَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرِدَ عِلْمٌ صَحِيحٌ أَوْ مَعْنًىٰ نَافِعٌ أَوْ طَرِيقُ صَلَاحٍ يُنَافِي الْقُرْآنَ، وَاللهُ -تَعَالَىٰ- وَلِيُّ الْإِحْسَانِ.(*).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْقُرْآنَ تَذْكِرَةٌ يَتَذَكَّرُ بِهَا الْعِبَادُ كُلَّ مَا يَنْفَعُهُمْ فَيَسْلُكُونَهُ وَمَا يَضُرُّهُمْ فَيَتْرُكُونَهُ، وَإِنَّهُ هِدَايَةٌ لِجَمِيعِ الْمَصَالِحِ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٦-١١-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٦ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٣١-١٠-٢٠١٣م.

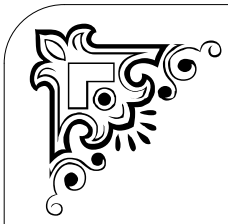

الْقُرْآنُ مُعْجِزَةٌ وَمَنْهَجٌ

لَقَدْ آتَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا ﷺ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا قَائِمًا فِي دُنْيَا اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هُوَ كَلَامُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

فَهُوَ كَلَامُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَلَامُ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عَلَىٰ قَدْرِ عَظَمَتِهِ، عَلَىٰ قَدْرِ حِكْمَتِهِ، عَلَىٰ قَدْرِ عِلْمِهِ؛ لِأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ صِفَاتُ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ.

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ؛ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صِفَةُ الْكَلَامِ: صِفَةُ ذَاتٍ وَصِفَةُ فِعْلٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي إِطَارِ قَوْلِ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْزَلَ كَلَامَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُعْجِزَةً بَاقِيَةً يُحِسُّهَا الْمَرْءُ فِي ذَاتِهِ، وَيَجِدُها الْإِنْسَانُ بِفِطْرَتِهِ فِي يَقِينِهِ؛ لِأَنَّهَا كَلَامُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «الْقُرْآنُ طَوْقُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٥هـ| ٦-٥-٢٠٠٤م.

الْقُرْءَانُ كَلِمَةُ اللهِ، تَكَلَّمَ اللهُ بِهِ، وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا يُتْلَىٰ عَلَىٰ قَلْبِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَاعْرِف لَهُ قَدْرَهُ، كَلَامُ اللهِ، كَلَامُ اللهِ صِفَتُهُ، وَالصِّفَةُ عَلَىٰ قَدْرِ الذَّاتِ، وَذَاتُ رَبِّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ.

تَأَمَّلْ فِيهِ!

وَيَا للهِ مَا أَعْذَبَهُ!

وَيَا للهِ مَا أَحْكَمَهُ!

وَيَا للهِ مَا أَمْتَنَهُ!

وَيَا للهِ مَا أَشْفَاهُ لِلْقُلُوبِ الْعَلِيلَةِ، يُدَاوِي سَقَمَهَا، وَيُبْرِئُ كَلْمَهَا، وَيَمْسَحُ عَلَىٰ جِرَاحِهَا؛ فَإِذَا هِيَ آيِبَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا، مُنِيبَةً خَاشِعَةً مُتَبَتِّلَةً ذَاكِرَةً.(*).

الْإِنْسَانُ خَلْقُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَمَتَىٰ مَا سَمِعَ خَلْقُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَدْ أَزَالَ عَنْ قَلْبِهِ الرَّانَ، وَحَجَبَ عَنْ عَيْنَيْهِ الْحُجُبَ، وَكَشَفَ عَنْ ذَاتِهِ مَا بِهِ يَحْتَجِبُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَنْوَارِ عَطَاءَاتِ كَلَامِ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا؛ تَفَاعَلَ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ، فَخَلَّفَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْقَلْبِ بُرْهَانًا سَاطِعًا عَلَىٰ وُجُودِ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، وَعَلَىٰ صِدْقِ نَبِيِّنَا ﷺ.

تَنْظُرُ فِي سِيرَتِهِ، وَتَنْظُرُ فِي رِسَالَتِهِ، وَتَنْظُرُ فِي مُعْجِزَاتِهِ ﷺ، وَخُذِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْآيَةُ الْبَاقِيَةُ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ؛ مَا مِنْ مُعْجِزَةٍ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَقْطَعٌ بِعُنْوَان: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ.. شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ الْعَلِيلَةِ».

السَّابِقِينَ إِلَّا وَكَانَتْ آنِيَّةً حَالَّةً فِي مَحَلِّ زَمَانِهَا بِمَكَانِهَا أَمَامَ النَّاظِرِينَ، فَإِذَا مَا انْتَهَىٰ الزَّمَانُ، وَإِذَا مَا تَخَلَّفَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَكَانُ؛ كَانَ مَاذَا؟

كَانَ النَّقْلُ الْمُصَدَّقُ عُنْوَانَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَوْمٍ قَائِمَةً.

وَأَمَّا مُعْجِزَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَهِيَ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ بَلْ بَيْنَ يَدَيِ الْعَالَمِ جَمِيعِهِ، يَتَأَمَّلُ فِيهَا، وَيَنْظُرُ فِي أَطْوَائِهَا، وَهِيَ بُرْهَانٌ قَائِمٌ عَلَىٰ صِدْقِهِ فِيمَا أَتَىٰ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ﷺ.

وَانْظُرْ إِلَىٰ هَذَا الْكَلَامِ الْجَلِيلِ كَلَامِ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عِنْدَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ قَلْبِ مُحَمَّدٍ؛ كَانَتِ الصَّدْمَةُ مُرِيعَةً فِي قَلْبِ مَنْ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ؟

فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ نَفْسِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ لَهُ مَنْطِقًا، وَلِأَنَّ لَهُ بَيَانًا، وَلِأَنَّ لَهُ أُسْلُوبًا وَطَرِيقَةً فِي الْأَدَاءِ.. فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ يَتَخَاطَبُ بِقَانُونِهِ ﷺ.

فَلَمَّا جَاءَهُ الْمَلَكُ فِي الْغَارِ، وَأَنْزَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ قَلْبِهِ الشَّرِيفِ مَا أَنْزَلَ مِنْ كَلَامِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَجَدَ كَلَامًا غَرِيبًا، وَوَجَدَ نَفْسَهُ يَنْطِقُ بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ هِيَ غَيْرُ مَعْهُودَةٍ لَدَيْهِ هُوَ؛ حَتَّىٰ خَشِيَ عَلَىٰ عَقْلِهِ ﷺ.

فَكَانَ الْقُرْآنُ ظَاهِرَةً مُتَفَرِّدَةً؛ حَتَّىٰ فِي حَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَفَ بِإِزَائِهَا طَوِيلًا، وَنَزَلَ يَرْتَجِفُ مِنَ الْغَارِ يَطْلُبُ الدِّثَارَ ﷺ، وَيَتَلَمَّسُ الْغِطَاءَ، حَتَّىٰ أَتَىٰ التَّثْبِيتُ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي مَنْطِقِ خَدِيجَةَ وَعَلَىٰ لِسَانِهَا.

هُوَ نَفْسُهُ ﷺ يَجِدُ الْأُسْلُوبَ مُتَفَاوِتًا.

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ صَدَمَتْهُ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَىٰ الظَّاهِرَةُ الْقُرْآنِيَّةُ، فَنَزَلَ مِنَ الْغَارِ وَالِهًا، وَأَتَىٰ إِلَىٰ خَدِيجَةَ رَاعِدًا مُرْتَعِدًا يَطْلُبُ الدِّثَارَ وَالْغِطَاءَ ﷺ، حَتَّىٰ أَتَىٰ التَّثْبِيتُ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا وَآتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا هُوَ مَنْهَجُهُ فِي بَيَانِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ خَاصَّةً؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ رَسُولٍ أُرْسِلَ قَبْلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا وَأُرْسِلَ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً؛ خَلَا مُحَمَّدًا؛ فَإِنَّهُ أُرْسِلَ إِلَىٰ الْخَلْقِ عَامَّةً، كَمَا صَحَّ عَنْهُ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ ﷺ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ كَالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا هُوَ مَنْهَجُهُ وَمِنْهَاجُهُ إِلَىٰ خَلْقِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ.

وَلَكِنَّ هُنَاكَ فَارِقًا:

الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ وَالْمُرْسَلُونَ السَّالِفُونَ -صَلَوَاتُ رَبِّي عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَسَلَامُهُ- لَمَّا آتَاهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا؛ كَانَ مِنْهَاجُهُمْ إِلَىٰ أَقْوَامِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، وَتَأْتِي الْمُعْجِزَةُ مُغَايِرَةً لِلْمَنْهَجِ؛ إِلَّا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ أَتَىٰ بِكِتَابٍ هُوَ عَيْنُ الْمُعْجِزَةِ، وَبِمُعْجِزَةٍ هِيَ عَيْنُ الْكِتَابِ، وَأَتَىٰ بِمَنْهَجٍ هُوَ عَيْنُ الْإِعْجَازِ، وَبِإِعْجَازٍ هُوَ عَيْنُ الْمَنْهَجِ.

فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي ﷺ.

أَنْزَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا ﷺ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ الْمُشَرَّفَةَ، وَحْيًا مُوحًىٰ بِهِ مِنْ لَدُنْ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-.

هُوَ كَلَامُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنْزَلَهُ عَلَىٰ قَلْبِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَعَلَ اللهُ - رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ الْفَضَائِلَ الْبَاهِرَةَ، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مُقَدِّمًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَمُقَدِّمًا لِلنَّاسِ فِي الْقَبْرِ، وَمُقَدِّمًا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَىٰ رَبِّ النَّاسِ، وَمُقَدِّمًا لِلنَّاسِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَمُقَدِّمًا لِلنَّاسِ فِي عَالِي الْجَنَّاتِ.

يَا عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْقُرْآنَ يُقَدِّمُ فِي الْحَيَاةِ، وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣].

فَقَدَّمَ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ذِكْرًا؛ فَكَأَنَّمَا يُومِئُ النَّصُّ إِلَىٰ أَمْرٍ مُهِمٍّ جِدًّا، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يُخْلَقُ وَلَا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ لَيْسَ مَخْلُوقًا، بَلْ هُوَ عَدَمٌ مَعْدُومٌ مُطْلَقٌ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

فَأَتَىٰ بِالنِّعْمَةِ الْعُظْمَىٰ، وَالْمِنَّةِ الْكُبْرَىٰ مُقَدَّمَةً عَلَىٰ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْحَيَاةَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ كَلَامَهُ مُحْيِيًا لِلْمَوَاتِ مَوَاتِ الْقُلُوبِ، فَإِذَا مَا سَمِعْتَ كَلَامَ اللهِ مُسْتَجِيبًا لِلَّهِ؛ أَتَتْكَ الْحَيَاةُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَاتِ مِنْ بَعْدِ الْعَدَمِ، وَإِذَا مَا سَمِعْتَ كَلَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَتَتْكَ الْحَيَاةُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَاتِ مِنْ بَعْدِ الْعَدَمِ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾.

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا جَاءَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ أَتَىٰ بِالرُّوحِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رُوحًا يُحْيِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْمَوَاتَ، يَمَسُّ مَوَاتَ الْقُلُوبِ فَيُحْيِيهُ.

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْقُرْآنَ مُحْيِيًا لِعَدَمِ الْقُلُوبِ، مُزِيلًا لِمَوَاتِ الْقُلُوبِ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مُعْجِزَةً بَاقِيَةً إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِلَّا حِفْظُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي أَمْرٍ يَرَاهُ الْقَاصِي وَالدَّانِي مُنْذُ جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَسَيَظَلُّ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فِي حِفْظِهِ الْمَتِينِ، يَجْعَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الصَّبِيَّ رُبَّمَا دُونَ الْعَاشِرَةِ؛ بَلْ دُونَ السَّادِسَةِ لَا يَفْهَمُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ آيَةً؛ بَلْ لَا يَكَادُ يُدْرِكُ مِنْهُ مَعْنًىٰ لِكَلِمَةٍ، كَلِمَةٍ مُفْرَدَةٍ قَائِمَةٍ بِنَفْسِهَا؛ وَمَع ذَلِكَ يَحْمِلُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ.

فَمَنِ الَّذِي جَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؟!!

إِنَّهُ اللهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا تَجِدُهُ فِي مَقْدُورِ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَمَا مِنْ كِتَابٍ مُقَدَّسٍ وَلَا غَيْرِ مُقَدَّسٍ قَبْلَ كِتَابِنَا كِتَابِ رَبِّنَا عَلَىٰ مَدَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَعَلَىٰ فَلَكِ الْبَشَرِيَّةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ مَا مِنْ كِتَابٍ حُفِظَ كَذَلِكَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ فِي صُدُورِ أُمَّةِ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّهُمْ بِهَا -أَيْ: بِهَذِهِ الْمُعْجِزَةِ- إِلَّا هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ عَلَىٰ يَدَيْ مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ إِلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ.

اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- إِذْ يَرْفَعُ بِهَذَا الْقُرْآنِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ، يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَرَضِيَ الْهِدَايَةَ لَهُ سَبِيلًا، وَيَصُدُّ عَنْهُ مَنْ رَضِيَ لَهُ الْغِوَايَةَ سَبِيلًا، وَلَا يُوَفَّقُ إِلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ هَدَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَلْبَهُ.

لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَحْدُودُ الْآيَاتِ، فَهُوَ غَيْرُ مُتَنَاهٍ إِلَّا إِلَىٰ عَدَدٍ بِذَاتِهِ، ضَبَطَهُ الْأَئِمَّةُ ضَبْطًا.

فَلَوْ وَقَعَ عَلَىٰ كُلِّ يَوْمٍ بِمِقْدَارِ الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ حِفْظًا؛ لَحَفِظَ الْمَرْءُ كَلَامَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِقَدَرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي قَدْرٍ مَحْدُودٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي؛ وَلَكِنْ فَضْلُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

فَاللَّهُمَّ آتِنَا كِتَابَكَ الْمَجِيدَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «الْقُرْآنُ طَوْقُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٥هـ| ٦-٥-٢٠٠٤م.

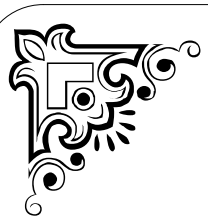

الْقُرْآنُ طَوْقُ النَّجَاةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ أُسَّ الْعَمَلِ لِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَصْلَهُ هُوَ كِتَابُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَإِنَّ الْمِحْوَرَ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ الْأُمَّةُ، وَإِنَّ الْمِحْوَرَ الَّذِي تَدُورُ فِي فَلَكِهِ الْأُمَّةُ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

مَتَىٰ مَا تَخَلَّفَتِ الْأُمَّةُ عَنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَالذُّلُّ نَازِلٌ بِهَا بِقَدْرِ تَخَلُّفِهَا عَنْ كِتَابِ رَبِّهَا.

وَمَتَىٰ مَا تَمَسَّكَتْ بِكِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَالْعِزُّ نَازِلٌ بِسَاحَاتِهَا عَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِهَا بِكِتَابِ رَبِّهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَافِظَ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ هُوَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

الْقُرْآنُ يَسَّرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلذِّكْرِ، فَجَعَلَ الْقُرْآنَ مُصَافِحًا لِمَسَامِعِ الْقُلُوبِ، وَفَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْأَبْصَارَ وَالْبَصَائِرَ، فَهُوَ سَهْلٌ مُيَسَّرٌ لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُتَجَرِّدًا.

النَّبِيُّ ﷺ تَلَاهُ عَلَىٰ أَقْوَامٍ أُمِّيِّينَ لَا يَقْرَؤُونَ، وَلَا يَكْتُبُونَ، فَتَلَقَّوُا الْقُرْآنَ مِنْ فَمِ الرَّسُولِ ﷺ.

عَلَيْنَا أَنْ نُقْبِلَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

وَالْمَنْهَجُ مَنْهَجُ طَالِبِ الْعِلْمِ.. بَلْ مَنْهَجُ الْمُسْلِمِ فِي حَيَاتِهِ أَنْ يَعْقِدَ الصِّلَةَ بِكِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لِأَنَّ الْأُمَّةَ الْقُرْآنِيَّةَ لَا تَذِلُّ وَلَا تَخْزَىٰ!

لِأَنَّ الْأُمَّةَ الْقُرْآنِيَّةَ لَا تَضْحَىٰ وَلَا تَشْقَىٰ!

لِأَنَّ الْأُمَّةَ الْقُرْآنِيَّةَ لَا يُصِيبُهَا الذُّلُّ أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُنْزِلُ عَلَيْهَا رَحَمَاتِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ!

هَذِهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، تُعْرَفُ فِي اللَّيْلِ فِي الشَّوَارِعِ وَالْحَوَارِي وَالْأَزِقَّةِ بِالْقُرْآنِ يُتْلَىٰ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ فِي بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجَوَارِي، مِنَ النِّسَاءِ، مِنَ الْأَطْفَالِ.. مِنَ الْغِلْمَانِ، مِنَ الشِّيَّبِ.. مِنَ الشُّيُوخِ، مِنَ الشَّبَابِ، الْكُلُّ مُقْبِلٌ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَرْتِيلًا، وَفَهْمًا، وَتَطْبِيقًا وَعَمَلًا؛ لِأَنَّهُ الْعِزُّ الدَّائِمُ، وَالنَّهْجُ الْمُسْتَقِيمُ.

وَأَمَّا أَنْ تَأْخُذَنَا بُنَيَّاتُ الطُّرُقِ، وَأَمَّا أَنْ نَتَلَطَّمَ فِي دَيَاجِيرِ الظُّلْمَةِ بِاخْتِلَافِ مَنَاهِجِ الْخَلْقِ؛ فَأَمْرٌ لَا يَرْضَاهُ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ.

هَذَا هُوَ النَّهْجُ الْقَاصِدُ عِبَادَ اللهِ، كِتَابُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ خَيْرٍ؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا.

وَمَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا مَا تُلِيَتْ، لَا يَضْبِطُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

لَوْ عَلَّمْتَ إِنْسَانًا الْفَاتِحَةَ، فَضَبَطَهَا عَلَىٰ النَّحْوِ الْمُسْتَقِيمِ، لَوْ عَلَّمْتَ إِنْسَانًا آيَةً وَاحِدَةً..

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ تَلَا حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ كَانَ لَهُ بِهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

فَلَوْ عَلَّمْتَ مُسْلِمًا حَرْفًا وَاحِدًا مِنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَلَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ مَا تُلِيَ.

فَيَا لَهَا مِنْ مَنْقَبَةٍ عَظِيمَةٍ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٢)، وَمَنْ قَامَ عَلَىٰ حِيَاطَتِهِ، وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ، وَمَنْ قَامَ عَلَىٰ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ الْمِحْوَرُ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ الْأُمَّةُ، وَتَرْتَبِطُ بِهِ، وَتَؤُوبُ إِلَيْهِ.

وَمَهْمَا حَدَثَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَهْمَا جَرَىٰ لَهَا؛ مَتَىٰ مَا تَمَسَّكَتْ بِكِتَابِ رَبِّهَا، وَعَادَتْ إِلَىٰ جَنَابِ أَنْوَارِ رِحَابِ كَلَامِ رَبِّهَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، وَفَاءَتْ إِلَىٰ

---

(١) «جامع الترمذي» (رقم ٢٩١٠)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وروي عن عوف بن مالك رضي الله عنه نحوه، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٧/ رقم ٣٣٢٧)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ رقم ١٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه (باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: ٥٠٢٧).

هَذَا النُّورِ الْمُبِينِ؛ أَخْرَجَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، كَمَا أَخْرَجَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَمِنَ الِاخْتِلَافِ وَالِافْتِرَاقِ إِلَىٰ الِائْتِلَافِ وَالْمَحَبَّةِ وَالِاتِّفَاقِ، وَعَادَ بِهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ الْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ.

فَحَذَارِ أَنْ يَفُوتَكُمْ نَصِيبُكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

حَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ أَلَّا تُقْرَأَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ فِي الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ!

حَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ أَنْ تَؤُوبَ إِلَىٰ ضَلَالٍ فِي ظِلَالٍ بَعِيدًا عَنْ ظِلَالِ كَلَامِ رَبِّنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ!

فَفِيئُوا إِلَيْهِ، إِلَىٰ النُّورِ الْمُبِينِ فِي هَذَا الظِّلِّ الظَّلِيلِ بِأَنْوَارِ كَلَامِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «الْقُرْآنُ طَوْقُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٥هـ| ٦-٥-٢٠٠٤م.

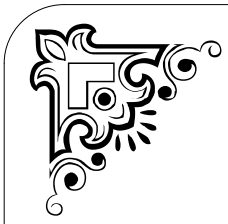

جَمِيعُ الْمَحَاسِنِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ شَرِيعَةَ رَسُولِنَا ﷺ مُهَيْمِنَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ، وَكِتَابَهُ مُهَيْمِنٌ عَلَىٰ كُلِّ الْكُتُبِ، فَجَمِيعُ مَحَاسِنِ الْأَدْيَانِ وَالْكُتُبِ قَدْ جَمَعَهَا اللهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَهَذَا الدِّينِ، وَفَاقَ عَلَيْهَا بِمَحَاسِنَ وَأَوْصَافٍ لَمْ تُوجَدْ فِي غَيْرِهِ.

وَقَدْ قَرَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ بِأَنَّهُ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ، وَلَا جَالَسَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكُتُبِ السَّابِقَةِ؛ بَلْ لَمْ يَفْجَأِ النَّاسَ إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا أَتَوْا وَلَا قَدَرُوا، وَلَا هُوَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا، وَأَنَّهُ مُحَالٌ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ ﷺ مُتَقَوِّلًا أَوْ مُتَوَهِّمًا فِيمَا جَاءَ بِهِ.(*).

إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ جَوَامِعِ الْمَعَانِي، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَعَلَىٰ صِدْقِ مَنْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَاخْتُصِرَ لَهُ الْكَلَامُ اخْتِصَارًا ﷺ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، الِاثْنَيْنِ ٢٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٨-١٠-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ)، الْخَمِيسُ ٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٧-١١-٢٠١٣م.

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ حُزْنِنَا، وَجَلَاءَ حُزْنِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا، وَذَهَابَ غُمُومِنَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ قَائِدًا لَنَا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَلَا تَجْعَلْهُ سَائِقًا لَنَا إِلَىٰ النَّارِ.

اللَّهُمَّ رُدَّ الْأُمَّةَ إِلَىٰ الْقُرْآنِ رَدًّا جَمِيلًا.(*).

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا، وَأَنْ يُحَلِّمَنَا، وَأَنْ يُؤْتِيَنَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.

اللَّهُمَّ آتِنَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَافْتَحْ لَنَا فِيهِ فَتْحًا مُبَارَكًا.

اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ فَتْحًا مُبَارَكًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ قَائِدًا لَنَا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَلَا تَجْعَلْهُ سَائِقًا لَنَا إِلَىٰ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ غُمُومِنَا، وَكَشْفَ هُمُومِنَا.

اللَّهُمَّ ذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نُسِّينَا، وَعَلِّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا قَائِمِينَ بِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيكَ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ.

اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ فَتْحًا مُبَارَكًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «الْقُرْآنُ طَوْقُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٥هـ| ٦-٥-٢٠٠٤م.

اللَّهُمَّ حَمِّلْنَا كِتَابَكَ الْمَجِيدَ، فَهِّمْنَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، مَسِّكْنَا كِتَابَكَ الْمَجِيدَ، جُهَّالٌ فَعَلِّمْنَا، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنَّا جَهَالَتَنَا، وَارْفَعْ عَنَّا جَهْلَنَا، اكْشِفْ عَنَّا حِجَابَنَا، أَزِلْ عَنَّا غِشَاوَتَنَا.

اللَّهُمَّ لَيِّنْ قُلُوبَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ أَطْلِقْ أَلْسِنَتَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ أَنِرْ بُيُوتَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَنِرْ قُبُورَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَنِرْ لَنَا صِرَاطَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، اجْعَلْهُ لَنَا فِي الْقُبُورِ شَفِيعًا، وَعَلَىٰ الصِّرَاطِ نُورًا وَإِمَامًا، وَعَنِ النِّيرَانِ حَاجِزًا وَحِجَابًا.

اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، حَمِّلْنَا كِتَابَكَ الْمَجِيدَ، لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، وَيَا نَصِيرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ٢» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٦ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٣هـ| ١٣-٩-٢٠٠٢م.

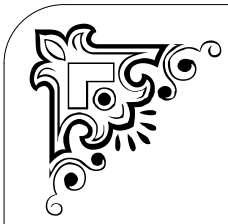

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

مِنَّةُ الْقُرْآنِ وَشَرَفُ حَمَلَتِهِ..... ٤

القُرْآنُ نُورٌ وَهِدَايَةٌ وَفُرْقَانٌ وَرَحْمَةٌ..... ١٢

النُّورُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ..... ١٦

مِنْ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ وَمَحَاسِنِهِ..... ٣٦

الْقُرْآنُ مُعْجِزَةٌ وَمَنْهَجٌ..... ٥١

الْقُرْآنُ طَوْقُ النَّجَاةِ..... ٥٨

جَمِيعُ الْمَحَاسِنِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ..... ٦٢